

بِإِثْمَانِهِ
مَدْرَسَةُ الدَّعْوَةِ
فِصُولُ هَارِثِ بْنِ فُقَيْهِ الدَّعْوَةِ وَالِدَاعِيَةِ
(8)

ثِقَاتُ الدَّاعِيَةِ

عَبْدُ اللَّهِ نَاصِحٌ عَلَوَانِي
أَسْتَاذُ الدَّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَجْدَّةِ

دَارُ السَّلَامِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد : فهذا هو الفصل الثامن من سلسلة « مدرسة الدعاة » وهو بعنوان « ثقافة الداعية » .

أقدمه لكم - إخوتي الدعاة - عسى أن يكون لخطواتكم الدعوية زادًا فكريًا يشبع حاجتكم فيما تواجهونه من تحديات ، وما ترونه على الساحة من حوار الأفكار، وصراع المبادئ ..

وأريد - أيها الإخوة - أن أنبته إلى أمر هام يختص بي وبكم ، ومفاده : أنني جعلت محور هذا الفصل ، ومصدره الأساسي كتاب أخي وزميلي في الدراسة الداعية الكبير الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله وأمدّ في عمره ، وكتابه الذي أشرتُ إليه هو « ثقافة الداعية » ، وقد جعلت كتابه هذا محور بحثي لسببين هامين :

الأول : لاستيعابه الشامل كل ما يهتمّ الداعية من فكر وما يتطلع إليه من ثقافة ..

الثاني : لنسبة الفضل إلى أهله باعتبار أن الأستاذ القرضاوي سبقني في معالجة هذا البحث جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

علمًا أنني أضفت ما رأيت إضافته ، واختصرتُ ما رأيت اختصاره ، وحذفتُ ما رأيتُ حذفه ، وعدّلت ما رأيتُ تعديله .. حتى جاء البحث شاملًا مكتملًا مختصرًا مشدّدًا ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ..

المؤلف

عبدالله بن صالح علوان

الفصل الثامن

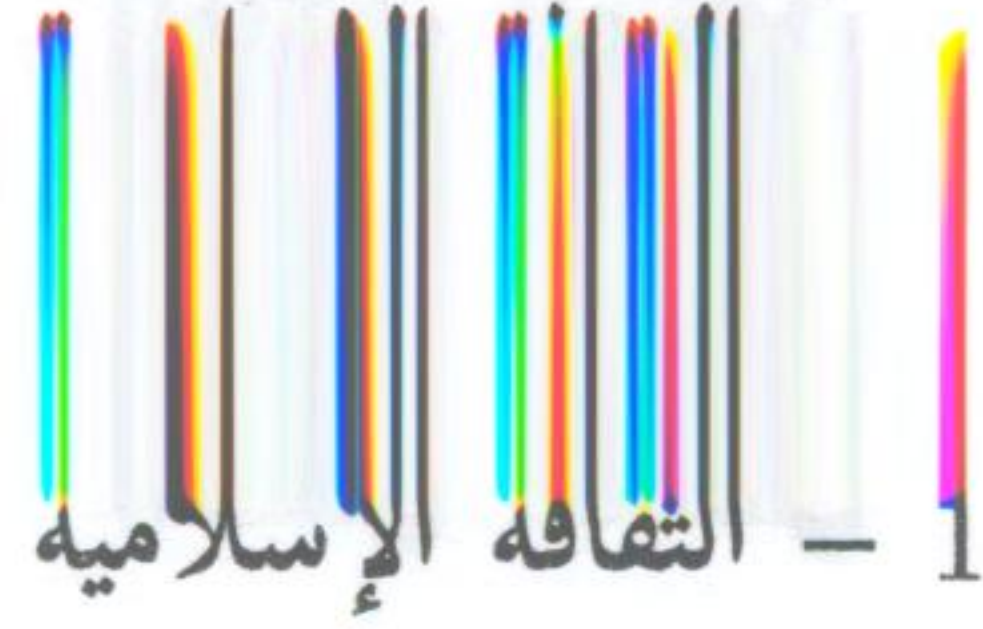
ثقافة الداعية

إذا كانت الأخلاق الفاضلة - كما سبق الحديث عنها - هي من الصفات البارزة في الدعاة ومن ملامح شخصيتهم الاجتماعية حين يندمجون في الناس .. فإن تزودهم بالعدّة الفكرية والثقافة الدعوية .. هي من أبرز خصائصهم ، ومن أظهر ملامح نضجهم وقوة شخصيتهم ، ومن المسلم به لدى ذوي العقول والبصائر أن الذي لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره ؟ وكيف ينفع أمته ؟ وكيف يقوم بدوره في الإصلاح والتغيير ؟ وكيف يستطيع أن يؤثر في الناس ؟ أو على الأقل كيف يكون محل ثقة واحترام إذا عُرف في الأمة أنه جاهل لم يتثقف ولم يتعلم !! فإنا نرى من فقد الشيء لا يعطيه أبداً والحوض الفارغ لا يفيض على غيره ، ومن لم يملك نصاب الزكاة كيف يعطي ؟ وكيف يُزكى ؟ ولقد أحسن الداعية العالم الدكتور « يوسف القرضاوي » حين عدّد في كتابه « ثقافة الداعية » أنواع الثقافات التي يجب أن يتزوّد بها الداعية إن أراد أن يكون داعية موفقاً ، له في المجتمع احترام ، وفي الأمة أثر ..

وها أنا ذا أنقل ما كتبه الدكتور القرضاوي باختصار مع بعض التصرف ، عسى أن يستفيد الدعاة من بحثه القيم ، ومعالجته الموقّعة ..

الأستاذ القرضاوي قسّم الثقافات التي يحتاجها الداعية إلى ستة أقسام وهي مرتبة كما يلي :

- 1 - الثقافة الإسلامية .
- 2 - الثقافة التاريخية .
- 3 - الثقافة الأدبية واللغوية .
- 4 - الثقافة الإنسانية .
- 5 - الثقافة العلمية .
- 6 - الثقافة الواقعية .



1 - الثقافة الإسلامية

إن أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول بأسقة الفروع ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

ونعني بالثقافة الإسلامية : الثقافة التي محورها الإسلام ، وهي على الترتيب التالي :

أ - القرآن الكريم وتفسيره :

القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام ، وبالتالي هو الركن الأساسي للثقافة الإسلامية . كل تعاليم الإسلام يجب أن ترجع في أصولها إلى القرآن الكريم : العقائد ، والمفاهيم ، والقيم ، والموازين ، والعبادات ، والشعائر ، والأخلاق ، والآداب ، والقوانين ، والشرائع .. كل هذه قد وضع القرآن أسسها ، وأرسى دعائمها ، وجاءت السنة ، فبينت ، وفضلت ، وأقامت عليها بنياناً شامخاً لا تنال منه الليالي والأيام . وقد حوى القرآن الكريم من حقائق الغيب ، وحقائق النفس ، وحقائق الحياة ، وحقائق الاجتماع الإنساني ، ويبين من سنن الله تعالى ، ومن آياته في الأنفس والآفاق ما لا يستغني بشر عن معرفته ، والاهتداء به .

وقد صاغ هذا كله في أسلوب معجز هو « نور من الكلام أو كلام من نور » لا يوصف إلا بأنه ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ (1) .

وصفه الله بأنه نور ، والنور من طبيعته أن يضيء ويهدي : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (2) .

كما وصفه بأنه روح ، والروح من طبيعته أن يحرك ويحيي ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (3) .

ولهذا كان شأن المؤمنين المهتدين بالقرآن أن يوصفوا بالحياة والنورانية معاً ؛ لانتصارهم على الموت الذي هو الكفر وعلى الظلام الذي هو الجهل ، يقول تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (4) .

(1) سورة هود الآية : 1 .

(2) سورة النساء الآية : 174 .

(3) سورة الشورى الآية : 52 .

(4) سورة الأنعام الآية : 122 .

وينبغي للداعية أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع ، بل يحسن بالداعية أن يحفظ القرآن كله ، ويستظهره متى تيسرت له أسباب ذلك ، ليكون أقدر على استحضاره والاستشهاد به في كل مناسبة ممكنة ، فالقرآن بحر لا ينفد ، ومعين لا ينضب لإعداد الدعاة . بل إن مما يلزم الداعية الموفق أن يحسن تلاوة القرآن بإتقان وترتيل كما أمر الله ، وأن يدرس من أحكام التجويد ما يصحح به قراءته ، حتى يتلوه بخشوع وتأثر وحزن ، فإن وجد بكاءً بكى ، وإلا تباكى ...

وعلى الداعية أن يحذر : من الانحراف والتحريف ، وسوء التأويل لآيات الكتاب ، وحملها على معانٍ تخرجها عما أراد الله بها ، وإليك - أخي الداعية - طرفاً من هذا الانحراف والتحريف :

1 - إخضاع النصوص للواقع الزمني ، وإن كان مخالفاً لأحكام الإسلام ، كما رأينا ذلك في محاولات تسويغ نظام الفائدة في البنوك عند سطوة النظام الرأسمالي في البلاد الإسلامية ، ومثلها محاولات تبرير التأميم للشركات الخاصة ، والمصادرة للملكيات المشروعة بعد ذلك أيام سطوة الاشتراكية !! ..

2 - تجزئة النصوص وتفكيكها ، وعدم معرفة واقعها وسبب نزولها ، مثل من يفسر قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (1) دون أن يضم إليها قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (2) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَکُمْ رِءُوسُ أَمْوَالِکُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (2) .

فدلّت الآية الثانية على أن ما زاد على رأس المال فهو ربا ، قليلاً كان أو كثيراً ، أما عبارة ﴿ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ في الآية الأولى فهي وصف لبيان الواقع الذي كان عليه الجاهليون قبل الإسلام في تعاملهم بالربا ، وليس قيداً لإباحة الربا القليل ، كما تقول للتجار الجشعين : لا تحتكروا الضروريات لتربحوا مائتين في المائة ، فهذا بيان لواقعهم ، وليس معناه أنهم إذا احتكروا الطعام ونحوه ليربحوا مائة أو خمسين .. كان ذلك حلالاً ؛ لأن الإسلام حرّم الاحتكار سواء كان الربح الذي يأتي عن طريقه قليلاً أو كثيراً !!؟ .

(1) سورة آل عمران الآية : 130 .

(2) سورة البقرة الآيتان : 278 ، 279 .

3 - اتباع المشابهات وترك احكام ، وهذا اصل من اصول الزيع والضلال كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ... ﴾ (1) .

فالضالون الذين في قلوبهم زيغ وانحراف - كما بينت الآية - يجرون وراء المشابهات ، متمسكين بما يظهر لهم منها موافقاً لأهوائهم .. كالقائلين بوحدة الوجود (2) مثلاً فإنهم يحتجون لبدعتهم وضلالهم بمتشابهات القرآن والحديث ، فيذكرون مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (3) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (4) ، وبالحديث الذي رواه الشيخان : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . وأغفل هؤلاء أن الدين كله بقرآنه وسنته ينادي بأن في الوجود رباً ومربوباً ، وخالقاً ومخلوقاً ، وكوناً ومكوناً ، فثنائية الوجود من بدهيات الدين وضرورياته التي لا تحتاج إلى استدلال وإقامة برهان ..

ولو أنهم أنصفوا فردوا المشابهات إلى المحكمات ، وبعبارة أخرى : ردوا المحتملات إلى البيّنات الواضحات للاح لهم الحق واضحاً وضوح الصبح لذي عينين .

أما علم التفسير : فهو من أهم العلوم على الإطلاق ؛ لكونه يُعين على فهم المراد من كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وقد دُوّن في تفسير القرآن الكريم مئات ومئات من الكتب والمجلدات منها ما طبع ، ومنها ما يزال مخطوطاً ، من كتب التفسير ما يذهب أصحابها مذهب الرواية ، ويسمى « التفسير بالمأثور » ، وأشهرها « تفسير ابن جرير الطبري » و « تفسير ابن كثير الدمشقي » ..

ومن كتب التفسير ما ينحو أصحابها منحى الدراية ، ويسمى « التفسير بالرأي » ، وهذا النوع من التفسير يتلوّن بلون مذهب صاحبه ، وينطبع بطابع عصره وثقافته وتخصّصه .. فإن كان يغلب عليه اللغة والنحو والبلاغة والاعتزال فيأتي تفسيره

(1) سورة آل عمران الآية : 7 .

(2) القائلون بوحدة الوجود طائفة منحرفة عن الإسلام تدعي أن الخالق والمخلوق وحدة متكاملة وأصل واحد فلا انفصال ولا انفصام بينهما ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(3) سورة الفتح الآية : 10 . (4) سورة الأنفال الآية : 17 .

مصبوغاً بصبغة اللغة ، والنحو ، والمباحث البلاغية ، والآراء الاعتزالية .. كتفسير « الكشاف » للزمخشري . وإن كان يغلب عليه الفقه ، والأحكام التشريعية ، والآراء المذهبية .. فيأتي تفسيره مصبوغاً بصبغة الفقه والأحكام وعرض الآراء .. كتفسير القرطبي للإمام القرطبي ؛ وإن كان يغلب عليه الاسترسال في مسائل العقيدة ، والتنقيب عن أسرار الكلمات وما وراء المعاني .. فيأتي تفسيره مصبوغاً بصبغة الإلهيات والإرشادات وأسرار المعاني كتفسير الألويسي للإمام الألويسي ..

ويحسن بالداعية أن لا يكتفي بكتاب واحد من كتب التفسير القديمة أو الحديثة .. بل عليه أن يقتبس من كل كتاب خير ما فيه ، ولبّ ما يتميز به ، ويحترز مما فيه من آراء ومذاهب مخالفة لعقيدة السلف ، ومذهب أهل السنة والجماعة ؛ بل ينبغي عليه أن يأخذ بالحكمة التي تقول : « كل بشر غير معصوم يؤخذ من كلامه ويترك » .

وأريد أن أوصي كل من يقرأ أي كتاب من كتب التفسير هذه الوصايا :

1 - الاهتمام بلباب التفسير :

وذلك بالإعراض عن الحشو والفضول والاستطراد ، والتطويل في المجادلات الكلامية ، والخلافات الفقهية ، والمباحث النحوية ، والنكات البلاغية .. وغير ذلك من ألوان الثقافات التي شغلت حيزاً ضخماً من كتب التفسير ، حتى حجبت قارئها عن إدراك أسرار كلام الله تعالى ، وهذا ما جعل « أبا حيان » يقول عن التفسير الكبير أو « مفاتيح الغيب » للإمام الرازي كلمته المشهورة « فيه كل شيء إلا التفسير » لكثرة استطراداته في العلوم الحديثة أكثر مما اهتم بالتفسير ذاته ؛ لذا يجب على الداعية حين يقرأ التفسير أن يهتم ببيان المراد من كلام الله تعالى قبل الجري وراء القيل والقال ، وإضاعة الجهد والوقت فيما لا طائل تحته .. كما عليه أن يلتفت إلى ما في التفسير من تعقيبات ذوي القلوب الحية مما يُعدّ من روح التفسير لا من مادته .

مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ (1) .

لبعض المفسرين من أرباب البصائر والقلوب لفتات إشراقية في تفسير الآية ، هذه اللفتات

(1) سورة التوبة الآية : 111 .

تحرك القلوب إليها ، ونحبي العزائم الميثة ، بما فيها من حرارة الصدق ، وصفاء الإخلاص ..
ومن ذلك قول الحسن البصري وقتادة تعليقا على الآية : « بايعهم الله فأغلى ثمنهم » .
وقول شمر بن عطية : « ما من مسلم إلا ولله في عنقه بيعة وقى بها أو مات عليها » ثم
تلا الآية .. هذا ما ينبغي للداعية أن يحرص عليه ، ويستظهره ، ويستزيد منه ..

2 - الإعراض عن الإسرائيليات :

يمكن أن نصنف الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما جاء مؤكداً للقرآن الكريم .

القسم الثاني : ما جاء مخالفاً له .

القسم الثالث : ما جاء مسكوتاً عنه .

أما ما جاء مؤكداً للقرآن الكريم فيجوز نقله وروايته والاستشهاد به ؛ لحديث البخاري عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ⁽¹⁾ ، كقصص الأنبياء مع أقوامهم ، وأحوال اليوم الآخر ، وغيرها ..

أما ما جاء مخالفاً للقرآن وللشريعة بشكل عام فلا يصح روايته والاستشهاد به على أنه حق ثابت ، ووحى منزل كقولهم : عزيز ابن الله ، وأنهم شعب الله المختار ، ولن تمسهم النار إلا أياماً معدودة . وكقولهم على الأنبياء بما لا يتفق مع عصمتهم وما لا يليق بهم ..
علماً بأن القرآن الكريم سجل على أهل الكتاب عامة ، واليهود خاصة تحريفهم لكتبهم ، وقولهم على الله بغير علم ، وإن منهم لفريقاً ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ⁽²⁾ وإنهم ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ ⁽³⁾ إلى آخر ما دمغهم الله تعالى به من صفات السوء .

أما ما جاء مسكوتاً عنه ، ولم يعلم في الشرع صحته أو نفيه .. فلا نصدقه ولا نكذبه ، وإن كان يجوز لنا حكايته والتحدث عنه لا على سبيل الاستدلال ، وإنما على سبيل الحكاية ونقل الخبر .. لعموم قوله ﷺ : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج .. » ⁽⁴⁾ .

(1) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ب (50) برقم (3461) .

(2) سورة البقرة الآية : 75 . (3) سورة المائدة الآية : 13 .

(4) سبق تخريجه .

من هذا القبيل : أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعدتهم ، وعصا موسى - عليه السلام - من أي شجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم عليه السلام ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة .. إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في ذكره ، ولا مصلحة في التفصيل فيه .

وقد عقب العلامة الشيخ « أحمد محمد شاكر » - رحمه الله - في كتابه « عمدة التفاسير » ، فقال وأحسن فيما قال : (إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه أو كذبه شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن ، وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات ، أو تعيين ما لم يعين فيها ، أو تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر ؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيَّنٌّ لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصّل لما أجمل فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك !!) .

وإن رسول الله ﷺ - إذ أذن بالتحدث عنهم - أمرنا أن لا نصدّقهم ولا نكذبهم ، فأبي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟ اللهم غفرًا .. (١ هـ .

وفي تقديري : أن إباحة التحدث عن بني إسرائيل في الحديث محمولة على القضايا التي تتصل بإثبات الرسالة ، والتبشير بالنبوة ، وتأكيد معالم الإسلام .. أما أن يكون التحدث عن كل ما يتصل بشرعهم ، وعن كل ما يتعلق بعقيدتهم وديانتهم .. على سبيل الأفضلية والاستحسان فلا يقول به أحد سلفًا وخلفًا ، بل جاء التحذير منه ، والنهي عنه في كثير من المواقف التي يقفها النبي ﷺ مع أصحابه :

أ - روى الإمام أحمد عن جابر : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ ، قال : فغضب وقال : « أتتهوكون⁽¹⁾ فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا اتباعي »⁽²⁾ .

ب - وأخرج عبد الله في المصنف ، والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري أن حفصة جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب من قصص يوسف عليه السلام في كَتِيف ، فجعلت تقرأه عليه ، والنبي ﷺ يتلوّن وجهه ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لو أتاكم يوسف وأنا بينكم

(1) أتتهوكون : أي تشككون في ملتكم .

(2) مسند الإمام أحمد 3 / 387 .

فاتبعتموه وتركتموني ضلثتم ، أنا حظكم من النبيين ، وأنتم حظي من الأمم » (1) .

ج - وأخرج الفريابي ، والدارمي ، وأبو داود ، وابن جرير .. عن يحيى بن جعدة قال : جاء ناس من المسلمين بكثيف قد كتبوا فيها ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء حمقاً أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيرهم إلى غيرهم » ، فنزلت هذه الآية : ﴿ أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (2) .

ومن الكلمات البليغة المعبرة عن الإنكار والسخط على الاستدلال بالإسرائيليات ، ووجوب تنزيه القرآن الكريم عنها .. كلمة لابن عباس رواها البخاري في صحيحه ..

فقال ابن عباس : (يا معشر المسلمين : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزله الله على نبيه أحدث أخبار الله ، تقرؤونه محضاً لم يشب ! وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذي أنزل إليكم !!) (3) اهـ .

3 - الحذر من الروايات الموضوعية والضعيفة :

وإذا كان على الداعية أن يحذر من الإسرائيليات التي تتنافى مع قدسية التشريع ، وعصمة الأنبياء .. فإن عليه كذلك أن يحذر من الروايات الموضوعية والضعيفة التي تتنافى أيضاً مع حقائق التشريع ، وعصمة الأنبياء .

مثال ذلك : ما نقله كثير من المفسرين في قصة « زينب بنت جحش » وزوجها الأول « زيد بن حارثة » وما جاء في شأنها في سورة الأحزاب ، وعتاب الله لرسوله في هذا الشأن ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (4) .

(1) انظر مصنف عبد الرزاق الصنعاني (20061) .

(2) سنن الدارمي مقدمة (42) برقم (481) . وانظر الدر المنثور (148/5) وجامع بيان العلم (41/2) والآية من سورة العنكبوت الآية : 51 .

(3) صحيح البخاري كتاب الشهادات ب (29) برقم (2685) . (4) سورة الأحزاب الآية : 37 .

فقد جعلت الروايات من سبب نزول هذه الآية قصة حب عاطفي تخيله متخيل ، أو افتراه مفترٍ .. زعم أن زينب ظهرت للنبي ﷺ يوماً بعد زواجها من زيد ، فرآها فتعلق قلبه بها ، ورجع وهو يردد : سبحان مقلب القلوب ، ولكنه كتم هذا الحب حتى نزلت الآية !! ..

وهذا الكذب المفترى لا دليل في الآية عليه ، ولم تصح به رواية ، كما لا تسنده دراية .. ومع هذا تعلق به المستشرقون والمبشرون ، وجعلوا منه قصة عشق غرامية ، يتخذون منها وسيلة لطعن محمد ﷺ ، وحجتهم في ذلك أن ذلك منقول في بعض كتب التفسير .

ومثل ذلك : ما يذكره بعض المفسرين عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ... ﴾ (1) .

فما ذكره : أن الرسول ﷺ قرأ ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ .. ﴾ (2) بمحضر من المشركين والمسلمين ، فلما بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَالْعُرَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ ﴾ (3) ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لثرتجى » ففرح بذلك المشركون ، ولما انتهى من السورة سجد وسجد معه المشركون .

قال ابن العربي : إن جميع ما ورد في القصة باطل لا أصل له ؛ وقال ابن إسحاق : هي من وضع الزنادقة .

وقال ابن كثير : ذكر كثير من المفسرين قصة الغرائق وهي روايات مراسلات ومنقطعات لا تصح .

وقال القاضي عياض : هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم ... وما يدل على بطلان القصة قوله تعالى في نفس السورة : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (4) فكيف نطق المعصوم بمثل هذا الذي يزعمونه !!؟ (5) .

(1) سورة الحج الآية : 52 .

(2) سورة النجم الآية : 1 .

(3) سورة النجم الآية : 19 - 20 .

(4) سورة النجم الآية : 2 - 4 .

(5) ارجع إلى ما كتبه الرازي في تفسيره ، وما كتبه ابن كثير ، وما كتبه ابن العربي .. في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ .. ﴾ من سورة الحج ، فإن فيها الرد القاطع .

ومثل هذه الروايات الموضوعه ، أو الضعيفة المتهاوته .. يفتح لها المستشرقون صدورهم ، يأخذونها مُسلمين ، لأنها توافق هواهم ، وتخدم فكرتهم التبشيرية ، في حين يردّون - كثيرًا - الروايات الصحيحة إذا عارضت اتجاههم .

4 - الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة :

ومما ينبغي أن يحذر منه الداعية : الأقوال الضعيفة بل الفاسدة في بعض الأحيان ، وقد تكون هذه الأقوال صحيحة النسبة إلى قائلها من جهة الراوية ، ولكنها ضعيفة أو مردودة من جهة الدراية ومقاصد التشريع ، وليس هذا بمستغرب مادامت صادرة من غير معصوم ، فكل بشر يصيب ويخطئ ، وهو معذور في خطئه إذا كان بعد تحرُّ واجتهاد ، واستفراغ للوسع في طلب الحق .

ولقد رأينا شيخ المفسرين الإمام أبا جعفر الطبري - على جلالته قدره ، ومنزلة كتابه في التفسير - يختار أحيانًا تأويلات في التفسير ضعيفة ، بل هي غاية في الضعف كتفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ ⁽¹⁾ بأن معناها : « قَيِّدُوهُنَّ » من هَجَرَ البعير إذا شدّه بالهَجَار ، وهو القيد الذي يقيد به ، والمراد : تقييد النساء لإكراههن على ما تمنعن عنه .. بينما المعنى المتبادر للذهن والذي يدل عليه ظاهر اللفظ : « الهجر : أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ، ويوليها ظهره » كما نقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وكتفسيره أيضًا (أي الطبري) لآيات المائة :

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ⁽²⁾ .

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ⁽³⁾ .

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ⁽⁴⁾ .

يقول الإمام الطبري : إنها في أهل الكتاب .

صحيح أنها نزلت في أهل الكتاب مما يدل عليه السياق ، ولكن - كما يقول علماء الأصول - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ وقد ذكرت آيات المائة هذه مرة عند « حذيفة بن اليمان » ، فقال رجل : إن هذا في بني إسرائيل ، فقال

(2) سورة المائة الآية : 44 .

(1) سورة النساء الآية : 34 .

(4) سورة المائة الآية : 47 .

(3) سورة المائة الآية : 45 .

حذيفة : نِعَمَ الإخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم كل حلوة ، ولهم كل مرّة !!
ويقصد : كيف يوصف بنو إسرائيل بالكفر أو الظلم أو الفسق إذ لم يحكموا بما أنزل
الله عليهم ، ولا توصفون أنتم بذلك إذا لم تحكموا بما أنزل الله عليكم !!؟ .
فما على الداعية أو المفسر إلا أن يتجنب في تفسيره هذه الأقوال والآراء مهما
تكن مكانة قائلها .. حتى لا تعطي لأعداء الإسلام الفرصة في الطعن في مبادئ
الإسلام الخالدة .. لأن الحق دائماً - كما يقول الإمام علي - كرم الله وجهه - لا
يقاس بالرجال ، وإنما يقاس الرجال بالحق .

* * *

ب - السنة النبوية وكتبتها :

السنة النبوية هي المصدر الثاني لشريعة الإسلام ، وبالتالي هي الركن الأساسي
لثقافة الداعية ..

والسنة - كما هو معلوم - هي شارحة القرآن ، والمبيّنة له ، والمفصلة لما أجمله .. وفيها
يتمثل التفسير النظري ، والتطبيق العملي لكتاب الله ، قال تعالى يخاطب رسوله ﷺ :
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (1) .

وقال جلّ جلاله : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ .. ﴾ (2) .

والسنة النبوية تشمل : أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وأوصافه وسيرته ، فهي
سجل حافل لحياته وجهاده ﷺ في سبيل دعوته .. صوت من جوامع الكلم ،
وجواهر الحكم ، وكنوز المعرفة ، وأسرار الدين ، وحقائق الوجود ، ومكارم
الأخلاق ، وروائع التشريع ، وحوالد التوجيه ، ودقائق التربية ، وشوامخ المواقف ،
وآيات البلاغة .. ثروة طائلة هائلة ، لا تنفذ على كثرة الإنفاق ، ولا تبلى جدتها
على طول الزمن والأيام ، ولا يستغني داعية يريد أن يحدث ، أو يدرّس ، أو يحاضر
أو يخطب أو يكتب .. عن الرجوع إلى هذا المعين الفيّاض ، والمنهل العذب ؛
ليستقي منه - بقدر ما يتسع واديه - فيرتوي ويروي ، ويأخذ ويعطي ، ويمتلئ
ويفيض .

(1) سورة النحل الآية : 44 .

(2) سورة النحل الآية : 64 .

نم ماذا عن كتب السنة ؟

في الحقيقة أن كتب السنة كثيرة جدًا ، ولكن ينبغي للداعية أن يقدم ما هو الأهم منها مثل : الكتب الستة ، ومسند الدارمي ، وموطأ مالك ، ومسند أحمد ..

ولبعض هذه الكتب مختصرات يمكن أن تكفي من لم تسعفه الهمة والوقت بقراءة الأصول ذاتها ، وأهم هذه المختصرات هي :

- التجديد الصريح للزيدي : وهو مختصر للبخاري حذف منه المكررات والمعلقات والأسانيد .

- مختصر صحيح مسلم للمنذري : قام على تحقيقه ناصر الدين الألباني .

وهناك كتب جامعة عملت على جمع هذه الكتب أو بعضها مثل :

- جامع الأصول لابن الأثير : جمع فيه أحاديث الأصول الخمسة : الصحيحين ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وجعل سادسها موطأ مالك بدلاً من سنن ابن ماجه⁽¹⁾ .

- مجمع الزوائد للهيثمي : جمع فيه زوائد مسانيد الإمام أحمد ، والبزار ، وأبي يعلى ، ومعجم الطبراني الثلاثة ، وهو مطبوع في عشرة أجزاء ، والمراد زوائد هذه الكتب على الكتب الستة على اعتبار ابن ماجه منها .

وقد قام أحد علماء الحديث في القرن الحادي عشر - وهو العلامة : محمد بن محمد سليمان الروداني المتوفى بدمشق 1094 هـ بجهد مشكور في الجمع بين كتابي ابن الأثير والهيثمي ، وأضاف إليهما « زوائد الدارمي ، وابن ماجه » ، فكان هذا الكتاب بحق موسوعة حديثة جمعت أكثر من عشرة آلاف حديث نبوي من أربعة عشر كتابًا ، وسمى كتابه « جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد » .

وهناك لون آخر من تجميع الأحاديث وهو التجميع حسب أوائل الحديث ، وفقاً لترتيب الحروف الهجائية من ذلك :

- « الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير » للحافظ السيوطي .

- « الفتح الكبير بزيادة الجامع الصغير » للحافظ السيوطي ، وقد أضاف إليه زيادات ضمها الشيخ النبهاني .

(1) لأن في سنن ابن ماجه كثيرا من الضعف ، بل فيه بعض الأحاديث الموضوعة .

- « الجامع الكبير » للحافظ السيوطي ، الذي حاول أن يجمع فيه كل ما وصل إليه من كتب الحديث ، وقد رتبته الشيخ « علاء الدين على المتقي » من علماء الهند على الأبواب والموضوعات في كتابه الذي سماه « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » .
وتمت كتب أخرى متخصصة هدفها تجميع نوع معين من الأحاديث من ذلك :

- كتاب « الأذكار » للإمام النووي .
- كتاب « الكلم الطيب » لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- كتاب « الأدب المفرد » للإمام البخاري .
- كتاب « شعب الإيمان » للإمام البيهقي .
- كتاب « رياض الصالحين » للإمام النووي .
- كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري .
- كتاب « عمدة الأحكام » للحافظ المقدسي .
- كتاب « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » للحافظ ابن حجر .
- كتاب « الإمام » للإمام ابن دقيق العيد .

وإلى جانب هذه الأنواع من الكتب توجد كتب الشروح ، وهي كتب مهمة نافعة ، ولا يستغني عنها داعية أو عالم .. وهي مفاتيح لمن أراد أن يفتح مغاليق ما أشكل عليه من الأحاديث ، وهي مصابيح تنير الطريق لمن يريد معرفة ما تتضمنه الأحاديث النبوية من أحكام وآداب وتشريع وتوجيه .. ولا يسع عالماً أن يُعرض عن هذه الثروة ويبدأ وحده من جديد ، فهذا منافٍ لمنطق العلم ، ومنطق العقل ، ومنطق التاريخ ..

من هذه الكتب :

- أ - شروح البخاري : مثل : عمدة القاري للعيني ، وإرشاد الساري للقسطلاني ، وفتح الباري لابن حجر .
- ب - شروح مسلم ، وأبرزها : شرح النووي ، وشرح الأبي والسنوسي .
- ج - شروح أبي داود مثل : « معالم السنن » للخطابي ، و « تهذيب السنن »

- لابن القيم ، و « عون المعبود » للديانوي ، و « بذل الجهود » للسهارنغوري .
- د - شروح الترمذي مثل : « عارضة الأحوزي » لابن العربي ، و « تحفة الأحوزي » للمباركفوري ..
- هـ - شروح النسائي مثل : تعليقات « السيوطي » و « السندي » على السنن الكبرى .
- و - شروح الموطأ ، مثل : « المنتقى » لأبي الوليد الباجي ، و « تنوير الحوالك » للسيوطي ، و « المسوّى » للدهلوي ، و « أوجز المسالك » لمحمد زكريا الكاندهلوي .
- ز - شروح المسند ، مثل : « الفتح الرباني » لأحمد عبد الرحمن البنا ، و تعليقات أحمد محمد شاكر على بعض الأجزاء .
- ح - شروح مشكاة المصابيح المسمى « مرعاة المفاتيح » للشيخ علي القاري ، و « مرعاة المفاتيح » للمباركفوري .
- ط - شروح الجامع الصغير مثل : « فيض القدير » للعلامة المناوي ، و « السراج المنير » للعزيزي .
- ي - شروح الأربعين النووية ، والخمسين الرجبية ، وأعظم شروحها : هو شرح ابن رجب الذي سماه « جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم » .
- ك - شرح رياض الصالحين ، وهو المسمى « دليل الفالحين » في أربعة مجلدات .
- ل - شرح أحاديث الأحكام مثل : « الإحكام » شرح « عمدة الأحكام » لابن دقيق العيد ، و « نيل الأوطار » : شرح « منتقى الأخبار » للعلامة الشوكاني ، و « سبل السلام » : شرح « بلوغ المرام » للعالم الصنعاني .
- كما ينبغي على الداعية أن يهتم بكتب « غريب الحديث » ، وهي التي تُعنى بشرح المفردات ، والجُمْل الغريبة في الحديث مثل : « غريب الحديث » لأبي عبيد ، و « الفائق في غريب الحديث » للزمخشري ، و « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير ، و « مشارق الأنوار » للقاضي عياض ..
- تنبيهات لا بد منها :
- 1 - الحذر من وضع الأحاديث في غير موضعها : وعلى الداعية كذلك أن يحذر من

سوء الفهم للأحاديث الصحاح والحسان التي وردت في كتب السنة .. فحرفها بعض الناس عن مواضعها ، وتأولوها على غير تأويلها ، وبعدها بها عمّا أراد الله ورسوله .

من ذلك : رأينا بعض الناس في العصر الحديث يتخذ من الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في قصة تأبير النخل - وهو قوله ﷺ - « أنتم أعلم بأمور دنياكم »⁽¹⁾ ، مستنداً لعزل التشريع الإسلامي في المجالات الاقتصادية والسياسية ونحوها ، بزعم أن الرسول ﷺ فوّض لنا تنظيم أمر دنيانا ، وشؤون حياتنا بهذا الحديث .

والحديث إنما يقصد بأمر دنيانا : الشؤون الفنية المتعلقة بالوسائل والكيفيات ، مثل شؤون الزراعة والصناعة ونحوها ، مما ترك لعقوك الناس واجتهادهم .. ولو كان الأمر كذلك كما يتقوّلون - لما أنزل الله أطول آية في كتابه لتنظيم شأن دنيوي اقتصادي وهو كتابة الدّين ، ولما جاءت مئات النصوص من الآيات والأحاديث تنظم علاقات الناس في حياتهم الدنيوية والاقتصادية ..

ومن ذلك أيضاً : استشهاد بعض الناس « بأحاديث الفتن وفساد آخر الزمان » وقولهم : إن الشرّ قد عم ، وأن سبيل الفساد قد طمّ ، وأن لا سبيل إلى الخلاص ، وأن لا أمل في الإصلاح ، وأن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ إلى الأسوأ .. إلى أن تقوم الساعة ..

ولعل أقرب مثل يذكر هنا حديث « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء »⁽²⁾ وهو حديث صحيح رواه مسلم وغيره ، فمن الناس من يتخذ من هذا الحديث سنداً وحجة له في القعود عن واجب الدعوة إلى الإسلام ، وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

فهل يتصور أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال هذا الحديث ، ليثبّط عزائم أمته عن الدعوة والجهاد والعمل لدينهم ، وليطفئ جمرة الأمل في قلوبهم؟!!

لا ، وألف لا .. إنما أراد أن يحذرهم ؛ ليتنبهوا ، أو ينبّههم ؛ ليحذروا .. حتى يتفادى السائرون السقوط و الاضطدام بالغير !! .

وفي بعض الروايات عن غير مسلم : قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي »⁽³⁾ .

ففي هذه دعوة صريحة إلى إصلاح ما أفسد الناس من منهج النبوة ، والعمل الجاد لردّ الشاردين إلى الطريق المستقيم .

(1) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل برقم (141) .

(2) صحيح مسلم كتاب الإيمان (232) .

(3) سنن الترمذي (18 / 5) برقم (2630) .

هؤلاء الغرباء الذين عناهم عليه الصلاة والسلام بالحديث ليسوا طائفة مترهبة منعزلة ، بل هم طائفة قائمون على الحق يؤدون دور الصحابة في بدء نشأة الإسلام ، فقد كانوا غرباء ولم تثنهم غربتهم عن الدعوة والعمل والجهاد .. وإن كان من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم !! . فالحديث دعوة إلى البناء والإيجابية ، وليس إلى اليأس أو الفرار من الميدان بدعوى فساد الزمان .

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
2 - الحذر من دعاة التشكيك في الأحاديث الصحيحة : وعلى الداعية كذلك أن يكون واعيًا لحمالات التشكيك التي شنتها خصوم الإسلام من مبشرين ، ومستشرقين ، وعملاء ملاحدة .. على الحديث والسنة ؛ والتي أثرت - وبالأسف - في بعض من ينتمون إلى الإسلام بأسمائهم وأنسابهم ومن عمل الغزو الفكري عمله في رؤوسهم ، حتى رأينا منهم من ينكر السنة أصلاً ، ومنهم من يطعن في كرام الصحابة ، ومنهم من يشكك في دواوين السنة الأصلية حتى صحيح البخاري ، ومنهم من يردّ الأحاديث الصحاح المشهورة اتباعًا للهوى ، ومنهم من يفسر الأحاديث على مزاجه هو ؛ ليتخذ من ذلك وسيلة للطعن عليها ، والتشهير بها ، ومنهم من يردّد شبهات المستشرقين والمبشرين ترديد البغاوات وهو لا يدري أو يدري ..

ولقد صادف هذا الغزو التبشيري الاستشراقي فراغًا ثقافيًا ، وتخلّفًا فكريًا بالنسبة لمصادر الإسلام وثقافته ، فتمكّن وعشعش وفرّخ .. وتناول الجهل بعنقه ورأسه ليفرض نفسه على الأحاديث المتفق عليها ، المتلقاة بالقبول من الأمة ، ليردّها بجرأة وقحة .

حتى زعم بعضهم أن حديث : « بني الإسلام على خمس .. » ⁽¹⁾ وهو من المعلوم من السنة بالضرورة حيث يحفظه الخاصة والعامة ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة .. زعم هذا أنه من وضع المستعمرين .. لأنه لم يذكر الجهاد .

وردّ آخرون حديث : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيختبئ اليهودي وراء الحجر .. فيقول الحجر : يا عبد الله أو يا مسلم ، هذا يهودي ورائي ، فتعال فاقتله » ⁽²⁾ ،

(1) هذا حديث صحيح متفق على صحته رواه البخاري كتاب الإيمان ب (1 ، 2) ، ومسلم كتاب الإيمان رقم (16) والترمذي كتاب الإيمان ب (3) ، والنسائي كتاب الإيمان ب (13) .
(2) حديث صحيح فقد رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ب (94) برقم (2926) ، ومسلم كتاب الفتن ب (18) رقم (82) ، ومسند أحمد (417 / 2) .

وزعموا أن هذا الحديث يثبط المسلمين عن الجهاد لأنه يدفعهم إلى الانتظار حتى يتكلم الحجر أو الشجر ليدل على اليهود .. ونسوا أن هذا الحديث من المبشرات في اتصال اليهود حين يدخل المسلمون المعركة باسم الإسلام والعبودية لله .

وردّ ثالث حديث : « بئس أخو العشيرة .. » ⁽¹⁾ لظنه أن هذا من المداهنة أو النفاق ، ناسياً أن هناك فرقاً بعيداً بين المداراة التي لا يستغني عنها حكيم ، وبين المداهنة التي لا يلجأ إليها إلا منافق أو ضعيف .. ومن الكتب التي يستفاد منها ردّ الحملة التبشيرية على السنة وكشف عوارها :

- 1 - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د . مصطفى السباعي .
- 2 - السنة قبل التدوين د . عجاج الخطيب .
- 3 - الأنوار الكاشفة (في الرد على كتاب أبي رية) . أ . عبد الرحمن اليماني .
- 4 - الحديث والمحدثون د . محمد أبو زهو .
- 5 - دفاع عن أبي هريرة د . عجاج الخطيب .
- 6 - دفاع عن السنة د . محمد أبو شهبه .
- 3 - الحذر من الأحاديث الموضوعية والواهية : وعلى الداعية أيضاً أن يحذر من الأحاديث الواهية والمنكرة بل الموضوعية .

وقد حذر علماء السنة من رواية الحديث الموضوع إلا مع التنبيه عليه ، وبيان أنه موضوع ليحذر منه قارئه أو سامعه ؛ قال الإمام النووي : (تحرم رواية الحديث الموضوع مع العلم به في أي معنى كان ، سواء الأحكام والقصص والترغيب والترهيب وغيرها - إلا مبيّناً ، أي مقروناً ببيان وضعه ؛ وذلك لما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن سمرة بن جندب مرفوعاً : « من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ⁽²⁾) .

وقد تخصص لهذه الأحاديث من علماء الأمة من كشف عوارها ، ووضح باطلها ، وفضح عورات الوضّاع المزيفين ، وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك : هذه الأحاديث

(1) الحديث صحيح رواه البخاري كتاب الأدب ب (38 ، 48) ، ومسلم كتاب البر ب (73) ، وأبو داود (4792) ، ومسند أحمد (38 / 6) .
(2) صحيح مسلم المقدمة ب (1) .

الموضوعه ! .. فقال : تعيش لها جهابذة (اي يكشف عوارها العلماء الافذاذ) .

وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزي : (لما لم يُمكن أحد أن يدخل في القرآن ما ليس منه ، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ، ويضعون عليه ما لم يقل ، فأنشأ الله علماء يذبّون عن النقل ، ويوضحون الصحيح ، ويفضحون القبيح ، وما يُخلي الله منهم عصرًا من الأعصار ..) .

وإذا كان الله سبحانه قد تكفل بحفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل إلى يوم البعث والدين .. فتكفله جلّ جلاله لحفظ السنّة من الدسّ والوضع تبعّ لذلك .. ذلك لأن السنّة النبويّة مؤكّدة للقرآن الكريم ، ومكمّلة له ، ومفصّلة لما أجمل فيه .. وباستطاعة كل مسلم أن يرجع إلى أيّ مصدر من مصادر السنّة ، ليعرف بيقين درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف أو الوضع .. بما لا يقبل الالتباس أو الشكّ ..

ومن فضل الله على هذه الأمة أن حفظ لها مصادرها التشريعية من حين أن بزغ فجر الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حفظ لها هذه المصادر لأنه سبحانه تفضّل بحفظها بوعد القاطع في قرآنه المنزّل على قلب رسوله المرسل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁽¹⁾ .

ونحن لا ننكر أن كثيرًا من الأحاديث الواهية والموضوعة قد تسللت إلى كثير من الكتب في مختلف العلوم من التفسير والتصوف والرقائق ، حتى في بعض كتب الفقه والأحكام .. ومن ثم دخلت على كثير من الدعاة - وبخاصة ذوو الطابع الشعبي منهم - آفة الاستشهاد بهذا النوع من الأحاديث لما فيها من الغرائب والمبالغات التي ترضي أذواق العوام ، وتثير إعجابهم ..

وكثيرًا ما يستند هؤلاء إلى ما اشتهر من أن الأحاديث الضعيفة تجوز روايتها في فضائل الأعمال ، ومجال الترغيب والترهيب .. ونحو ذلك .

علمًا أن العلماء الذين أجازوا الاستشهاد بالضعيف في فضائل الأعمال لم يفتحوا الباب على مصراعيه ، وإنما وضعوا شروطًا ثلاثة⁽²⁾ :

1 - ألا يكون الحديث شديد الضعف حيث يكون واهيًا قريبًا من الموضوع .

(1) سورة الحجر الآية : 9 .

(2) وضع هذه الشروط الثلاثة الإمام ابن حجر العسقلاني : انظر : تدريب الراوي للسيوطي ، الجزء الأول .

- 2- أن يندرج تحت أصل شرعي معمول به ، ثابت بالقرآن الكريم أو السنة الصحيحة .
- 3- ألا يعتقد عند الاستشهاد به ثبوته عن النبي ﷺ ، بل يعتقد الاحتياط ، وبناءً على الشرط الثالث لا يجوز للمستشهد أن يضيف الحديث الذي استشهد به إلى النبي ﷺ بصيغة الجزم والقطع ، بل عليه أن يقول : رُوِيَ عن كذا ، أو نُقِلَ عن كذا ، أو ورد عن كذا .. وما أشبه من صيغ التضعيف والتمريض ، وأما قوله : قال رسول الله كذا .. فمردود وغير جائز وغير لائق ..

ومن هذا يتبين أن أحدًا من علماء الأمة لم يفتح الباب على مصراعيه لرواية الأحاديث الضعيفة ، بل اشترطوا الشروط الثلاثة المذكورة ، فضلاً عن الشرط الأساسي وهو : أن يكون في فضائل الأعمال ونحوها ، مما لا يترتب عليه حكم شرعي . وأنصح الداعية أن يرجع إلى الكتب التالية لمعرفة تحقيق أي حديث شك في صحته ، أو تبين له وضعه :

- 1- كتاب « الإحياء » للإمام الغزالي مع تخريج أحاديثه للحافظ العراقي ، وهو مطبوع متداول ، ومراجعته ضرورية لطالب العلم ..
- 2- قراءة مقدمة كتاب « الترغيب والترهيب » للمنذري ، التي بين فيها أنواع الأحاديث التي يذكرها ، والمصطلحات التي يستخدمها لبيان درجاتها قوة وضعفًا ، حتى لا ينقل الضعيف الشديد الضعف ، وهو يحسب أنه حسن أو صحيح ، لجهله بإصطلاح صاحب الكتاب .
- 3- كتاب « فيض القدير » أو المختصر « التيسير » للمناوي الذي رمز لما جاء في « الجامع الصغير » للسيوطي بـ (ص) للصحيح ، و (ض) للضعيف .
- 4- كتاب تخريج أحاديث « الكشاف » للحافظ ابن حجر .
- 5- كتاب تخريج أحاديث « الهداية » للإمام الزيلعي .
- 6- كتاب « المقاصد الحسنة » للإمام السخاوي .
- 7- كتاب « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث » لابن الدبيع الشيباني .
- 8- كتاب « كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة

الناس « للعجلوني ، وهو أجمعها وأوفاهما ، وهو مرتب على حروف المعجم .
 9 - كتاب « التفسير » لابن كثير ، لكون ابن كثير حافظًا متقنًا ناقدًا ، يعنى
 بتخريج ما يورده ، والتعقيب عليه - غالبًا - بالتوثيق أو التضعيف .
 ومن الكتب المهمة أيضًا التي لا يستغني عنها داعية أو طالب علم ... كتب
 الموضوعات أي الكتب التي جمعت في طياتها الأحاديث المختلفة المفتراة على رسول
 الله ﷺ وهي مرتبة كما يلي :

- 1 - كتاب « الموضوعات » لابن الجوزي .
- 2 - كتاب « اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية » للإمام السيوطي .
- 3 - كتاب « تحذير الخواص من أكاذيب القصاص » للإمام السيوطي .
- 4 - كتاب « المنار المنيف في الصحيح والضعيف » لابن القيم .
- 5 - كتابا « الموضوعات الكبرى » و « الموضوعات الصغرى » للشيخ علي القاري .
- 6 - كتاب « تنزيه الشريعة المرفوعة من الأحاديث الشنيعة الموضوعية » لابن عراق .
- 7 - كتاب « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية » للإمام الشوكاني .
- 8 - كتاب « الأسرار المرفوعة » للشيخ اللكنوي .

فعليك - أخي الداعية - اقتناء هذه الكتب جميعًا ، ومطالعتها ، والاستفادة
 منها .. لتكون عندك الحصيلة الكافية في معرفة أي حديث من حيث صحته أو
 حسنه أو ضعفه أو وضعه ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

ج - السيرة النبوية وأهميتها :

على الداعية أن يوجه عناية خاصة للجزء العملي من السنة ، وهو الذي يتعلق
 بسيرة النبي ﷺ ، وهديه في كافة شؤون الدين والدنيا ..

ففي هذه الناحية العملية من سنته ﷺ نجد الإسلام مجسّمًا في حياة بشر ، ونجد
 القرآن الكريم مشخّصًا في أخلاق إنسان .. ، ولما سئلت السيدة عائشة - رضي الله
 عنها - عن خُلُقهِ ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن » ⁽¹⁾ أي أنه كان نموذجًا حيًا للفضائل

(1) سبق تخريجه ص (234) .

والأخلاق التي دعا إليها القرآن فإذا كان الإسلام يدعو إلى العدل ، ويجعله إحدى قيمه العليا ، ومبادئه الأساسية ، ويقاوم الظلم بكل صوره .. فإن حياة النبي ﷺ العامة ، وسيرته الكريمة مثال ناطق لتحقيق العدل في جميع المجالات : العدل مع النفس ، والعدل مع الأسرة ، والعدل مع الأقارب ، والعدل مع الأصدقاء ، والعدل مع الأعداء ، وهكذا كل ما يمكن من صور العدل ومظاهره ، والأمثلة التطبيقية لهذه الأنواع من العدل موفرة في سيرته ﷺ ، لا يعجز الداعية عن استخراجها من كتب الحديث والسيرة .

وقس على ذلك مبدأ الشورى ، وخلق الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والصبر ، والسخاء والشجاعة ، والرحمة ، وغيرها .. فإن سيرة النبي ﷺ هو التطبيق الرائع لهذه الأخلاق . ولهذا ينبغي للداعية الموفق - بعد أن يذكر موضوعه معززاً بالآيات والأحاديث النظرية - أن يؤيدها بمواقف من السيرة العملية .

فمن كان يتحدث عن خلق التواضع مثلاً ، فلا يحسن به أن يكتفي بسرد الآيات والأحاديث في فضل التواضع والتياسر .. حتى يذكر تواضعه ﷺ في أهله وفي أصحابه ، فقد كان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويطحن بالرحاة مع الجارية والغلام .. ويجلس مع صحابته كواحد منهم ، حتى يأتي القادم الغريب فلا يعرفه من بينهم ، ولا يميز نفسه عنهم في حضر أو سفر ، حتى اختار مرة أن تكون مهمته جمع الحطب لإنضاج الطعام لهم ، وأبى في غزوة بدر أن يركب وصاحبه يمشان ، وقد عرضا عليه ذلك راضيين قائلاً : « ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر » (1) .

ولعل من النافع هنا أن نذكر الإخوة الدعاة بأن للسيرة مصادر شتى غير كتب السيرة الرسمية المعروفة مثل : « سيرة ابن هشام » وشرحها للسهيلى المسمى « الروض الأنف » أو « السيرة الحلبية » ونحوها .. فلا بد من الانتفاع بتلك المصادر كلها ما أمكن ذلك .

من هذه المصادر :

- 1 - القرآن الكريم وتفسيره وبخاصة المأثور منها .
- 2 - كتب الحديث ، فهي كما تتضمن أقوال النبي ﷺ تتضمن أيضاً أفعاله وتقريراته وأوصافه الخلقية والخلقية ، ومن ذلك : مراحل دعوته وجهاده وغزواته ومواقفه ، وهي سجل حافل لحياته كلها ..

(1) مسند الإمام أحمد (1 / 411) .

3 - كتب الشمائل والهدي النبوي مثل : « الشمائل الحمديه » للترمذي ، و « الشفاء » للقاضي عياض ، و « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم ..

4 - كتب التاريخ العام مثل : تواريخ الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، ففي كل منها فصول ضافية عن السيرة النبوية ، ولا سيما « ابن كثير » وقد فصلت السيرة من تاريخه ، وطبعت محققة مستقلة .

5 - كتب « دلائل النبوة » ، وهي التي تُعنى بما ظهر على يديه ﷺ من الآيات والخوارق ، وما نبأ به من الغيوب .

6 - وأخيرًا كتب في السيرة مستحدثة كتب فيها أعلام الكتاب والمحققين في العصر الحديث من أظهرها : « خاتم النبیین » للشيخ محمد أبوزهرة ، و « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالي ، و « فقه السيرة » للشيخ سعيد رمضان البوطي ، وغيرها من الكتاب الهامة .

* * *

د - علم التوحيد :

لا نريد بدراسة هذا الفن دراسة منظومات المتأخرين في علم التوحيد وشروحها مثل « الجوهرة » ونحوها ، ولا دراسة « العقائد النسفية » وما يتبعها من شروح وحواش ، ولا دراسة المطولات الكلامية مثل شرح المقاصد أو شرح المواقف وما شابهها .

فلم يعد كثير من مباحث هذه الكتب يحتاج إليه العقل المعاصر أو يستسيغه ، ولم يعد يكفي للردّ على شبهات الفلسفة الحديثة ، وما تثيره من مشكلات فكرية واعتقادية ..

لهذا يجب توفير الجهد الذهني الضخم الذي يبذل في هضم هذه الكتب ، وحلّ ألغازها .. لما هو أجدى في الدفاع عن العقيدة وتثبيتها ، ومواجهة تحديات أعداء الإسلام ومؤامراتهم ..

فالذي نريده من دراسة العقيدة الإسلامية مراعاة ما يلي :

1 - أن يكون كتاب الله عز وجل ، وما بيّنه من صحيح السنة هو المصدر الفدّ للعقيدة الإسلامية المنشودة ، بعيدًا عن الشوائب والزوائد والفضول .. وبهذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها ، ولا نجعل آراء مدرسة معينة أضلاً يُحمل القرآن عليه ، وتُجرّ الآيات لتأييده .

2 - أن نتبع منهج القرآن الكريم في مخاطبة العقل والقلب معًا من أجل تكوين الإيمان الصحيح الثابت ، فبناء العقيدة على العقل وحده كما هو اتجاه الفلاسفة ، أو على القلب وحده كما هو اتجاه الصوفية .. لا يتفق مع شمول المنهج الإسلامي الذي يقوم الإيمان فيه على اقتناع العقل ، وانفعال القلب ، وصدق الإرادة ..

3 - الاهتمام بأدلة القرآن الكريم التي ذكرها لإثبات معتقداته ، وإقناع مدعويه ، والرد على خصومه .. مثل : أدلة القرآن على وجود الله التي أشار إليها ابن رشد في كتابه « مناهج الأدلة » والعقاد في كتابه « الله » والشيخ الجسر في كتابه « قصة الإيمان » وغيرهم ؛ وكذلك أدلته على التوحيد ، وعلى البعث ، وعلى نبوة محمد ﷺ .. وكلها أدلة عقلية برهانية صريحة وليست خطابية كما وهم بعض المتكلمين .

4 - الاستفادة من ثقافة العصر ، وخصوصًا في ميادين العلوم البحتة كالفلك والطب والفيزياء وعلم الحيوان والنبات .. لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها ، كما فعل ذلك كثير من المؤلفين في زماننا من المسلمين والأجانب مثل : صاحب « العلم يدعو إلى الإيمان » ، وأصحاب « الله يتجلى في عصر العلم » ، وصاحب « الطب محراب الإيمان » ، ومؤلف « الله والعلم الحديث » ، ومؤلف « الإسلام يتحدّى » ، وكتاب « الله جل جلاله » للشيخ سعيد حوى ..

5 - أن نتبنى طريقة السلف فيما وصف الله به نفسه من غير تكيف ولا تمثيل ، ولا تأويل ولا تعليل ، وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم .. فما وجدوا بدءًا سوى أن يقرّوا بطريقة القرآن فيما وصف الله به نفسه ، وفيما يليق بجلاله إثباتًا ونفيًا .. ، يقول الإمام فخر الدين الرازي في كتابه « أقسام الذات » : (لقد تأملت المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية .. فلم أرها تشفي عليلًا ، أو تروي غليلًا ، ورأيت خير الطرق طريقة القرآن : أقرأ في الإثبات ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ ، وأقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، ومن جرّب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي) .

6 - نتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم ، والردّ عليها ردًا علميًا فكريًا مركّزًا بلسان العصر ، ومنطق الحجة ، وسلاح العلم .. حتى لا تبقى شبهة لمتشكك ، أو حجة لمعترض ..

هـ - الفقه وأصوله :

ولا بد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية ، بحيث يعرف أهم الأحكام الشرعية في العبادات ، والمعاملات ، والآداب ، والأحوال الشخصية .. وما لم يعرفه أو يستحضره يكون قادرًا على مراجعة حكمه في مصادره ومظانّه الموثقة ، وذلك مهم للداعية من عدة نواحٍ ليستطيع أن يجيب السائلين عن شؤون العبادات ، وقضايا الزواج والطلاق ، وأحكام الحلال والحرام ، وأصول البيع والشراء والتعامل الاقتصادي .. مما يكثر الناس السؤال عنه ، ويلجأون عادة إلى الدعاة يلتمسون منهم الفتوى في ذلك ، فمن لم يكن متضلّعًا من الفقه سكت أو تهرّب وفي ذلك إضعاف لموقفه وتأثيره .. أو أفتى بغير علم ، وهذه هي الطامة والضلال المبين كما هو حديث الصحيحين عن ابن عمر مرفوعًا : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالم اتّخذ الناس رؤوسًا جهّالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا » .

ولاشك أن الداعية إذا كان متمكنًا بالفقه استطاع أن يصحح ما يقابله من أخطاء ، وأن يقوّم ما يواجهه من انحرافات في ضوء الأحكام الشرعية ..

وكذلك يعمل جاهدًا على تطعيم عظاته ودروسه بالأحكام المهمة التي يحتاج إليها الناس في وقتها ، فإن تحدّث مثلاً عن الزكاة أو الصيام أو الحج أو غيرها .. لم يقتصر حديثه على محض الترغيب والترهيب ، بل يحرص على إعطاء سامعه أو قارئه خلاصة الأحكام الأساسية لكل منها بأسلوب سهل قريب مقبول ..

فالداعية الناجح هو الذي يعظ الناس ويفقههم ، بحيث لا يطغى وعظه على فقهه ، ولا فقهه على وعظه .. فهذا يكون أكثر تشويقًا ، وأحسن جاذبية في ميادين التبليغ والدعوة إلى الله .

ونوصي الداعية هنا بعدة أمور :

- 1 - أن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة والقياس والإجماع .. لأن الدليل يكسو الحكم أو الفتوى نورًا وجمالًا ، ويعطيه قوة قناعة واستجابة ..
- ويمكنه هنا الانتفاع بكتاب « أحكام القرآن » للجصاص وابن العربي ، وكتاب « آيات الأحكام » للشيخ السائس والشيخ الصابوني عدا عن كتاب « تفسير أحكام القرآن » للقرطبي ..

ويمكنه أيضًا الانتفاع بكتب فقه الحديث مثل : « الإحكام » لابن دقيق العيد ، و « نيل الأوطار » للشوكاني ، و « سبل السلام » للصنعاني ، و « فقه السنة » للشيخ سيد سابق .. ويمكن أيضًا الانتفاع بكتب الفقه مثل : « المغني » لابن قدامة الحنبلي ، و « المجموع » للنووي الشافعي ، و « الاستذكار » لابن عبد الله المالكي ، و « المحلى » لابن حزم الظاهري ، و « البدائع » في الفقه الحنفي ..

وعلى أن لا ننسى الانتفاع بكتب الشيخين الجليلين : « الفتاوى .. » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و « زاد المعاد » لابن القيم .. وكذلك الانتفاع بكتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » للجزيري ..

2 - وإذا كان الداعية ملتزمًا بمذهب من المذاهب الفقهية المتبوعة المعتمدة .. فلا يمنعه هذا من التعرف على أدلة مذهبه ليطمئن قلبه ، ولا مانع شرعًا من ترك المذهب ، واعتناق مذهب آخر معتمد إن رأى ضرورة ذلك ، ورحم الله من قال : « من قلّد عالمًا لقي الله سالمًا » .

وإذا كان أهلاً للنظر في الأدلة ، واستوفت فيه شروط الترجيح .. فلا بأس أن يترك بعض مسائل المذاهب ، ويأخذ بأحكام مذهب آخر ؛ لكونها أنهض دليلاً ، وأقوى حجة .. وهذا ما يعرف بالاجتهاد الجزئي عند علماء الفقه والأصول .

3 - ويحسن بالداعية أن يتعرف على المذاهب الأخرى ، وبخاصة التي يتبعها بعض من يدعوهم ، فإن كان مالكيًا وهو في بيئة حنبليّة ، أو كان شافعيًا وهو في بيئة حنفيّة .. مثلاً ، فينبغي له أن يلمّ بأهم ما يميز به مذهب البلد عن مذهبه ، حتى لا ينكر على الناس ما لا يجوز أن ينكر ؛ لأن المنكر لا يمكن أن نقول عنه إنه منكر إلا إذا اتفق على إنكاره ، أما إذا كان الحكم في حدود الاجتهاد ووجهات النظر .. فلا يجوز أن نسمي الحكم المخالف منكراً ..

فلا يجوز للداعية مثلاً إن كان حنفيّ المذهب أن ينكر وهو في خطبة الجمعة على من يدخل المسجد ويصلي ركعتين خفيفتين بحجة أن الفقه الحنفي يمنع⁽¹⁾ من الصلاة والإمام يخطب ؛ لأن الإمامين الجليلين الشافعي ، وابن حنبل يجيزان لمن يدخل المسجد والإمام

(1) للحديث الذي رواه الطبراني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد والإمام يخطب ، فلا صلاة ولا كلام حتى يفرغ الإمام » ، وللأحناف أدلة أخرى غير هذا الدليل ..

يخطب آل يصلي ركعتين لحية المسجد؛ لحديث جابر الذي رواه مسلم وأحمد وأبو داود قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقعد سليك قبل أن يصلي، فقال له النبي ﷺ: أركنت ركعتين؟ قال: لا، قال: قم فاركعهما» (1).
ومما ينصح به الداعية أن يقرأ - على الأقل - كتابًا في الفقه المقارن مثل: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد..

4 - ينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكماتها ومعقوليتها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بواقع الحياة حتى تقع من النفس موقع القبول. وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكيم والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أن الأصل في العبادات التعبد والاستسلام لأمر الله تعالى، كقوله تعالى في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (2)، وكقوله في الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (3)، وكقوله في الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (4) ...
فإذا كان هذا في الأمور التعبدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن طلبه في عصرنا أُلزم، والحاجة إليه أوكد.. على أن يكون التعليل وبيان المعقولية والحكمة مطابقًا للواقع والحياة، وشاملاً للدين والدنيا والآخرة..

ثم ماذا عن علم أصول الفقه؟

ولابد للداعية أن يُلمَّ بعلم أصول الفقه حتى يعرف الأدلة المتفق عليها وهي: الكتاب والسنة، والتي اتفق عليها جمهورهم وهي: القياس والإجماع، والتي اختلفوا فيها بعد ذلك كالاستحسان، والاستصلاح، والاستصحاب، وشرع من قبلنا، وقول الصحابي، وما إلى ذلك مما تفرقت فيه وجهات النظر..

وإذا كان الكتاب والسنة هما الأصلين والمصدرين الأساسيين، فكيف نستنبط منهما الأحكام؟ ومن يجوز له الاستنباط ومن لا يجوز؟ ومن يجوز له التقليد ومن لا يجوز؟
ولابد للداعية - إن كان أهلاً للنظر - أن يعرف الراجح من المرجوح؛ ليأخذ بالراجح

(1) صحيح مسلم كتاب الجمعة رقم (59)، ومسند الإمام أحمد (3/297) وأبو داود (1115).
(2) سورة العنكبوت الآية: 45. (3) سورة التوبة الآية: 103. (4) سورة الحج الآية: 28.

بعد جهد واستيعاب ، ويعذر الآخرين بالمرجوح ، أو يقنعهم إن استطاع دون أن يحدث في ذلك ضجة ، أو يسبب فرقة أو فتنة .. وليكن شعاره في اختلاف وجهات النظر :
(نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) .

وليس من الضروري للداعية أن يقرأ المطولات في الأصول ، فهذا شأن المتخصص ، وحسبه أن يقرأ ما يعطيه فكرة ملائمة مثل « جنة الناظر » لابن قدامة ، و « إرشاد الفحول » للشوكاني .

ومن كتب المحدثين في الأصول : كتاب « أصول الفقه » للشيخ الخضري ، و « علم أصول الفقه » للشيخ خلّاف وهو أحسن ما كُتب بأسلوب العصر .

ويحسن للداعية تنمة لهذا أن يعرف نبذة عن تاريخ الفقه الإسلامي ، ونشأة المذاهب وتطورها ويكفي في هذا : « تاريخ التشريع » للخضري ، و « خلاصة تاريخ التشريع » لخلّاف .

* * *

و - علم التربية وآداب السلوك :

ولا بد للداعية أيضًا من قدر مناسب من الثقافة السلوكية التي تبحث الجانب الأخلاقي والعاطفي في تكوين المسلم ، وإعداده روحياً وتربوياً وسلوكياً .. وتبحث أيضًا دراسة آفات النفوس ، ومداخل الشيطان إليها ، وكيفية وقايتها وعلاجها .. وتبحث كذلك تقوية صلة العبد بالله ، وكيفية تغذيتها والسبيل إليها ، والوصول إلى أعلى مراتبها ...
وعلينا أن نلاحظ في هذا العلم أمرين هامين :

الأول - الانحراف :

لا ينكر المتخصصون لدراسة هذا العلم أن بعض الذين دخلوا في سلك التصوف ، واهتموا بعلاج آفات النفوس قد أثرت فيهم عوامل أجنبية من مسيحية أو هندية أو فارسية أو يونانية .. إلى جوار العوامل الإسلامية أيضًا ، وأنها قد دخلت فيهم على مر الأزمان أفكار غريبة من شتى المصادر المذكورة وغيرها ، حتى وجد من يُنسب إلى التصوف من يقول : بالحلل أو الاتحاد أو وحدة الوجود ⁽¹⁾ .

(1) فكرة وحدة الوجود تقوم على أنه لا خالق ولا مخلوق بل هما شيء واحد وإن تعددت الأسماء والمسميات ، وفكرة الحلل تقوم على أن الله سبحانه حلّ في الأجسام كحلل من يعتقد أن الله حلّ في علي رضي الله عنه ، وفكرة الاتحاد تقوم على اتحاد إرادة الله بإرادة العبد ، ويعبرون عن هذا بالفناء .. وهذا الاعتقاد كفر وضلال ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

و كَال لِبَعْضِهِمْ كَلَامٌ عَنْ « فِئَةِ النُّورِ أَحْمَدِي » ، وَ كَلَامٌ عَنْ تَرْبِيَةِ الْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ الشَّيْخِ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيْ الْغَاسِلِ ، وَأَنْ يُعْتَقَدَ فِي شَيْخِهِ الْعِصْمَةَ ، وَأَنْ يُعْتَرَفَ لِشَيْخِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ حَتَّى بِخَاطِرَةِ السُّوءِ .. هَذَا عَدَا عَنْ بَعْضِ غَلْوِ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي الزُّهْدِ إِلَى حَدِّ خُرُوجِهِمْ عَنْ وَسْطِيَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَى رَهْبَانِيَّةِ النَّصَارَى .. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْحِرَافَاتِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالسَّلُوكِيَّةِ ..

لِهَذَا وَلِغَيْرِهِ ، وَقَفَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَرِيفِيِّينَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ مَوْقِفَ الرِّيَّةِ بِلِ الْخِصُومَةِ مِنَ التَّصَوُّفِ وَتَرَاثِهِ وَرِجَالِهِ ، وَأَعْلَنَ بَعْضُهُمْ حَرْبًا عَلَى التَّصَوُّفِ كُلِّهِ ، قَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ ، سُنِّيهِ وَبَدْعِيهِ ، وَحَمَلُوهُ أَوْزَارَ كُلِّ الْأَنْحِرَافَاتِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ وَالسَّلُوكِيَّةِ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْقُرُونِ الْأَخِيرَةِ ، وَبِالتَّالِي دَعَا إِلَى نَبْذِ هَذَا التَّرَاثِ وَهَجْرِهِ ؛ خَشْيَةَ مَا يَتَخَلَّلُهُ مِنْ مَفَاهِيمٍ لَا تَتَلَاءَمُ مَعَ أَنْظِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنْ هَذِهِ النَّظَرَةُ لَا تَتَّفَقُ مَعَ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ ، وَلَا تَتَلَاءَمُ مَعَ مَوَازِينِ الشَّرِيعَةِ فِي تَقْيِيمِ الرِّجَالِ ، وَالتَّعَرُّفِ عَلَى حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ ..

وَالَّذِي نُرِيدُ أَنْ نُوَكِّدَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ :

أَوَّلًا - أَنْ التَّصَوُّفَ الْفَلْسَفِيَّ كُلَّهُ مَرْفُوضٌ مِنْ أَسَاسِهِ ، وَإِذَا مَرَّ عَلَيْهِ الدَّاعِيَّةُ فِي طُورِ الدَّرَاسَةِ فَيَتِمُّ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَتَبْيَانِ فِسَادِهِ وَمَنَافَاتِهِ لِلْإِسْلَامِ ، وَنُرِيدُ بِالتَّصَوُّفِ الْفَلْسَفِيِّ التَّصَوُّفَ الْقَائِمَ عَلَى فِكْرَةِ « الْحُلُولِ » وَ « الْإِتِّحَادِ » وَ « وَحْدَةِ الْوُجُودِ » ..

ثَانِيًا - وَجِدَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِمْ فِكْرَةُ « الْحُلُولِ » وَ « وَحْدَةِ الْوُجُودِ .. » وَلَكِنْ هُمْ فِي الْوَاقِعِ بَرَاءٌ مِمَّا أُتِّهِمُوا بِهِ ، وَنُسِبَ إِلَيْهِمْ .. وَنَحْنُ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَّهِمَ إِنْسَانًا بِالْكَفْرِ إِلَّا إِذَا أَقْرَبَهُ بِاللَّفْظِ الْوَاضِحِ الصَّرِيحِ ، أَوْ قَامَتِ الْبَيِّنَةُ عَلَى كَفْرِهِ وَفِسَادِ اعْتِقَادِهِ .. أَمَا أَنْ نَأْخُذَهُ بِالشَّبْهِةِ أَوْ الظَّنِّ فَإِنَّ الظَّنَّ - فِي نَظَرِ الشَّرْعِ - لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

ثَالِثًا - يَجِبُ أَنْ نَنْتَقِي مِنَ التَّصَوُّفِ مَا يَخْدُمُ الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَالْأَخْلَاقَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَنَدَعُ كُلَّ مَا فِيهِ شَائِبَةٌ أَوْ رِيَّةٌ ، وَنَنْتَفِعُ فِي ذَلِكَ بِمَنْ نَقَدَ الصُّوفِيَّةَ كَأَمْثَالِ : ابْنِ الْجُوزِيِّ فِي كِتَابِهِ « تَلْبِيسُ إِبْلِيسِ » ، وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ « الْفَتَاوَى » ؛ لِلإِسْتِنَاسِ بِمَا كَتَبُوهُ فِي نَقْدِهِمْ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ مَخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةٍ .

الثاني - الاستقامة :

لَا يَنْكَرُ الْمُتَخَصِّصُونَ لِدَرَاةِ هَذَا الْعِلْمِ أَيْضًا أَنْ كَثِيرًا مِمَّنْ دَخَلُوا فِي سَلْكِ التَّصَوُّفِ ، وَاهْتَمُّوا بِعِلَاجِ آفَاتِ النُّفُوسِ قَدْ أَعْطَوْا الْقُدُوةَ الْعَمَلِيَّةَ فِي كَرِيمِ أَخْلَاقِهِمْ ،

وجميل استقامتهم وسلامة فكرهم واعتقادهم وتوجيههم .. وعلى رأس أولئك الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشيخ سهل التستري ، والشيخ بشر الحافي ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي ، والشيخ أبو يزيد البسطامي ، والشيخ الجنيد ... وعشرات غيرهم ممن كان لهم في التاريخ ذكر ، وفي الأجيال قدوة ..

ولا بأس أن ننقل طائفة من أقوالهم ليتبين لكل ذي عينين وبصيرة مدى التزامهم واستقامتهم :

● يقول الإمام العارف عبد القادر الكيلاني في كتابه « الفتح الرباني » ص 29 :
(كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ) .

ويقول : (ترك العبادات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لا تُسقط الفرائض بحال من الأحوال) .

● ويقول الإمام سهل التستري رحمه الله : (أصول طريقتنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والافتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق) (1) .

● ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله : (إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة) (2) .

● ويقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله : (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى ترتع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة) (3) .

● ويقول الإمام الرباني الجنيد رحمه الله : (مذهبنا هذا مقيّد بأصول الكتاب والسنة ، الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ) (4) .

كما نرى أن من الإنصاف أن نبين أن في التراث الصوفي - على ما فيه من بعض المآخذ - فوائد لا تُنكر ، وإليك - أخي الداعية - أهمّها :

(1 ، 2) من كتاب « التصوف الإسلامي والإمام الشعراني » للدكتور طه عبد الباقي سرور ص : (70 - 75) .

(3) من كتاب « شرح الطريقة الحمديدية » للشيخ عبد الغني النابلسي ص : 175 ج 1 .

(4) شرح الحكم لابن عجيبة ج 1 ص : 76 .

﴿ إله يجمع كثيرا من أقوال الصالحين ، وحكم الزهاد والعباد ، وماتر أهل

التقوى والبصيرة .

2 - إن فيه لفتات روحية مشرقة في فهم الآيات والأحاديث والتعليق عليها لا توجد عند غيرهم .

3 - إن للمتصوفة من الممارسات والتجارب في إصلاح الباطن ، وعلاج آفات النفوس ، وتقويم اعوجاج السلوك .. ما لا يوجد عند طائفة أخرى .

4 - إن في أقوالهم ومواعظهم حرارة وحيوية يلمسها قارئها ، ولعل ذلك نتيجة المجاهدة النفسية ، والرياضة الروحية التي يعانونها ، وليست النائحة كالثكلي .

5 - إن الصوفية الأوائل الذين وضعوا أسس التصوف ، ومهدوا طريقه ، رفضوا كل محاولة لإخراجه عن الشرع ، وأبوا إلا تقييده بالقرآن والسنة .. وقد استشهدنا بطائفة من أقوالهم في هذا المعنى ⁽¹⁾ .

6 - إن من أئمة الدعوة السلفية من تكلم في التصوف وألف فيه ، وردّ على باطله ، وأشاد بما فيه من حق ، كما يتضح ذلك في رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية : مثل : « العبودية » و « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » ، ورسالة « الفقراء » وغيرها من الفتاوى والرسائل والبحوث التي ظهرت في مجلدين في مجموع فتاويه : أحدهما : تحت عنوان « التصوف » المجلد الحادي عشر .

ثانيهما : تحت عنوان « علم السلوك » المجلد العاشر .

وكذلك مؤلفات تلميذه المحقق العلامة ابن القيم الجوزية في ذلك ، وهي كثيرة منها : « طريق الهجرتين » و « عدّة الصابرين » ، و « الداء والدواء » ، وأعظمها : « مدارج السالكين شرح منازل السائرين » في ثلاثة مجلدات ...

وأنصح الداعية بالإضافة إلى الكتب التي سبق ذكرها أن يقتني الكتب التربوية السلوكية التالية :

1 - إحياء علوم الدين للغزالي .

2 - الرقائق للإمام عبد الله بن المبارك .

(1) انظر كتاب « مدارج السالكين » ج 2 ص 264 لابن القيم .

3 - رسالة المُشترَشدِين للحرث المحاسبي .

4 - منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي .

ز - النظام الإسلامي :

ومن أهم ما ينبغي للداعية أن يدرسه دراسة وعي وفهم وهضم النظام الإسلامي أو شمولية مبادئ الإسلام ، أو فلسفة الإسلام التشريعية .

ونعني بهذا دراسة الإسلام خالصًا غير مشوب ، متكاملًا غير مجزأ .. الإسلام باعتباره مذهبًا متميزًا ، ونظامًا كاملًا للحياة : الحياة الفردية ، والحياة الاجتماعية ، والحياة المادية ، والحياة المعنوية .. ولا يغني عن هذه الدراسة للإسلام المتكامل دراسة العلوم الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والتوحيد ونحوها ؛ لأنها لا تعطي نظرة عامة للإسلام في الكون والحياة والإنسان ، وإنما تعطي نظرات متفرقة لجوانب معينة ، كلٌّ على حدة ، دون أن يكون بينها أي ارتباط أو تنسيق ..

وإن الخطر على فهم الإسلام فهمًا صحيحًا يتمثل في عدة أمور يجب التحرز منها :

1 - أن يُزاد على الإسلام ، ويلصق به ما ليس منه من روايب الديانات السابقة ، وثنية ومحرفة ، وشوائب التحل والمذاهب شرقية كانت أو غربية .. وذلك بعد أن أكمله الله للأمة ، وأتمَّ عليها به التعمه ، والكامل لا يقبل الزيادة كما لا يقبل النقص ، ولهذا شدّد الرسول ﷺ التحذير من الإحداث والابتداع في الدين .

2 - أن ينقص من الإسلام ما هو من أجزائه وصلب كيانه ، أو يأخذ بعضه دون بعض ، كما فعل بنو إسرائيل بدينهم ، آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض .. وفي هذا العصر قامت محاولات لتجزئة الإسلام ، أو إهدار بعض تعاليمه ، كالذين يريدون الإسلام عقيدة بغير شريعة ، أو عبادة بلا جهاد ، أو دينًا بلا دولة ، أو سلامًا بلا حرب ، أو زواجًا بلا طلاق ... والإسلام - كما هو معلوم - وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة ولا الانقسام ..

3 - أن تشوّه تعاليم الإسلام في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو التشريع .. فتعرض على غير حقيقتها ممسوخة مشوّهة محرّفة ، بفعل الجهل أو الهوى أو الغرض .. كما شوّهت فكرة القضاء والقدر في العقيدة ، أو فكرة الجمع في العبادة ، أو فكرة الزهد في الأخلاق ، أو فكرة الطلاق وتعدد الزوجات في نظام الأسرة ، أو



4 - أن يختل التوازن بين قيم الإسلام وتعاليمه ، فيعطي بعضها دون حقه ، ويأخذ بعضها الآخر أكثر من حقه ، ويقدم ما يستحق التأخير ، ويؤخر ما يستحق التقديم .. فلا توضع الفروع موضع الأصول ، ولا تحتلّ النوافل مكان الفرائض ، ولا تقدم أعمال الجوارح على أعمال القلوب .. بل يوضع كل شيء في مرتبته دون غلوّ ولا تقصير ، وإلا اضطربت المعايير ، واختلت المقاييس ..

ومن هنا ينبغي عند دراسة النظام الإسلامي ، أو الكتابة فيه تفادي هذا الأخطار الأربعة : من الزيادة فيه ، أو النقص منه ، أو التشويه له ، أو الإخلال بتوازنه .

فبناء على ما ذكر ينبغي أن يدرس نظام الإسلام على هذه الصورة :

أ - خالصاً مصقّى من الشوائب والفضول والزيادات التي ألصقت به على مر العصور ، ويجب العودة إلى نقاء الإسلام الأول المتمثل بالقرآن والسنة ، وسيرة الصحابة والسلف الصالح قبل أن تظهر الفرق وتطراً البدع ، وتتفاقم الفتن ..

ب - شاملاً متكاملًا غير مبتور ولا مجزأ ، ولا محذوف منه .. بعقائده وتصوّراته ، بشعائره وعباداته ، بأخلاقه وآدابه ، بنظمه وتشريعاته : الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والمدنية ، والجنائية .. مع وجوب الربط بينها ، وشدها جميعاً إلى أصل أصولها ، وأسس بنائها وهو توحيد الله .

ج - سليماً كاملاً ، مبرئاً من تشويه المشوّهين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية للإسلام ، مع العناية بتوثيق الدليل ، وحسن التعديل ، والاهتمام بإبراز خصائص الإسلام : ربانيته ، شموليته ، عالميته ، وسطيته ، توازنه ، واقعيته ..

د - متوازناً منسقاً واضح التقاسيم ، محدّد المفاهيم ، مرتّب التعاليم ، بحيث يقدّم فيه الأهم على المهم ، والمهم على غير المهم ، وتوضع مبادئه وأحكامه في مراتبها الشرعية : العقيدة قبل العمل ، والعبادة قبل المعاملة ، والفرائض قبل النوافل ، والكبائر قبل الصغائر ، والأركان قبل غيرها .

وينبغي أن يُستفاد من كتابات المعاصرين من رجالات الفكر الإسلامي في أنحاء العالم الإسلامي ممن يُشهد لهم بربوخ العقيدة ، وسعة الأفق ، وعمق الفكر ،

وغزارة الثقافة ، والإخلاص للدعوة والإسلام .. وممن لم يتأثروا بالغزو الفكري ، وكتابات أعداء الإسلام من فجرة المستشرقين والمستغربين ..
ونرشح لذلك بعض الكتب والكتّاب على سبيل المثال لا الحصر ، وإن كان كل بشر يؤخذ من كلامه ويُردُّ إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه .

أولاً - في مجال العقيدة والأسس الفكرية :

- 1 - مبادئ الإسلام أبو الأعلى المودودي
- 2 - العقائد الإسلامية حسن البنا
- 3 - خصائص التصور الإسلامي سيد قطب
- 4 - قصة الإيمان .. نديم الجسر
- 5 - قصة الهداية عبد الله علوان
- 6 - نظام الإسلام : العقيدة والعبادة محمد المبارك
- 7 - الإسلام يتحدى وحيد الدين خان
- 8 - الله جل جلاله سعيد حوى
- 9 - الرسول ﷺ سعيد حوى
- 10 - عقيدة المسلم محمد الغزالي
- 11 - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد
- 12 - الإيمان والحياة يوسف القرضاوي
- 13 - الله يتجلى في عصر العلم نخبة من رجالات الفكر في العالم

ثانياً - في مجال العبادة والشعائر :

- 1 - الأركان الأربعة أبو الحسن الندوي
- 2 - العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي
- 3 - الصلاة وأسرارها وحكمتها .. حسن الترابي

ثالثاً - في مجال الأخلاق والتربية :

- 1 - ربانية لا رهبانية أبو الحسن الندوي

- 2 - خلق المسلم محمد الغزالي
- 3 - دستور الأخلاق في الإسلام محمد عبد الله دراز
- 4 - تربية الأولاد في الإسلام عبد الله علوان
- 5 - السلوك الاجتماعي في الإسلام حسن أيوب
- 6 - منهج التربية الإسلامية محمد قطب
- رابعاً - في مجال التشريع والنظام الاجتماعي :
- 1 - العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب
- 2 - خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي محمود أبو السعود
- 3 - منهج الإسلام في الحكم محمد أسد
- 4 - نظام الاقتصاد في الإسلام محمد المبارك
- 5 - الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج عيسى عبده إبراهيم
- 6 - المجتمع المتكافل في الإسلام عبد العزيز الحياط
- 7 - التكافل الاجتماعي في الإسلام عبد الله علوان
- 8 - تعدد الزوجات في الإسلام عبد الله علوان
- 9 - نظام الرق في الإسلام عبد الله علوان
- 10 - حرية الاعتقاد في الإسلام عبد الله علوان
- 11 - اشتراكية الإسلام مصطفى السباعي
- 12 - الفكر الإسلامي المعاصر محمد البهي
- 13 - الثروة في ظل الإسلام البهي الخولي
- 14 - فقه الزكاة يوسف القرضاوي
- 15 - مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام يوسف القرضاوي
- 16 - غير المسلمين في المجتمع الإسلامي يوسف القرضاوي
- 17 - التشريع الجنائي الإسلامي عبد القادر عودة
- 18 - أحكام الذميين والمستأمنين في الشريعة عبد الكريم زيدان

- 19 - الفرد والدولة في شريعة الإسلام عبد الكريم زيدان
 20 - المجتمع الإنساني في ظل الإسلام محمد أبو زهرة
 21 - نظام الحكم في الإسلام محمد عبد الله المغربي
 22 - نظرية الإسلام وهدية في السياسة والدستور أبو الأعلى المودودي
 23 - الربا والاقتصاد الإسلامي أبو الأعلى المودودي
 24 - الحجاب أبو الأعلى المودودي
 25 - مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي حسن البنا
 26 - الإسلام (أربعة أجزاء) سعيد حوى
 27 - شريعة الإسلام يوسف القرضاوي
 28 - حكم الإسلام في وسائل الإعلام عبد الله علوان
 29 - عقبات الزواج وطرق معالجتها عبد الله علوان
 30 - الأخوة الإسلامية عبد الله علوان

إلى غير ذلك من هذه الكتب الفكرية المتنوعة التي تبحث أنظمة الإسلام ومبادئه الشاملة ..
 وعلى العموم أقترح عليك - أخي الداعية - أن تقرأ لمشاهير الكتاب ، وأعلام
 الدعاة في العالم الإسلامي ، وإليك طائفة منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- 1 - للإمام الشهيد حسن البنا
 2 - الأستاذ الشهيد سيد قطب
 3 - الأستاذ محمد قطب
 4 - الأستاذ أبو الأعلى المودودي
 5 - الأستاذ أبو الحسن الندوي
 6 - الأستاذ علي الطنطاوي
 7 - الأستاذ سعيد حوى
 8 - الأستاذ فتحي يكن
 9 - الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي
 10 - الأستاذ المرحوم مصطفى السباعي
 11 - الأستاذ يوسف القرضاوي
 12 - الأستاذ يوسف العظم
 13 - الأستاذ محمد البهي
 14 - الأستاذ أنور الجندي
 15 - الأستاذ حسن أيوب
 16 - الأستاذ عبد الكريم زيدان

وعشرات غيرهم ممن لا يحضرني أسماؤهم .

لا بد للداعية إذن أن يعف على أرض صلبة من دراسة العلوم الإسلامية ومصادرها وأصولها .. دراسة وعي وهضم وتدوُّق ، ثم يستطيع أن ينفع بها ، وأن يُخرج منها شرابًا سائغًا مختلفًا ألوانه ، فيه شفاء للناس .

2 - الثقافة التاريخية

ومن الثقافة اللازمة لمن نصَّب نفسه للدعوة الثقافة التاريخية ، والاطلاع على وقائع التاريخ على حقيقتها ..

فالتاريخ هو ذاكرة البشرية ، وسجل أحداثها ، وديوان عبرها ، والشاهد العدل لها أو عليها ، ويهمننا في ذلك تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة ، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة ، أعني المواقف الحاسمة منه ، والملامح الرئيسية فيه ..

وإنما يحتاج الداعية إلى التاريخ :

● لأن التاريخ يوسع آفاقه في اطلاعه على أحوال الأمم ، وتاريخ الرجال .. فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور ؟ وكيف ترقى الأمم وتهبط ، وكيف تقوم الدول وتسقط ، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم ، وكيف تحيا الحضارات وتموت ، وكيف ينجح القادة ويفشلون ، وكيف تنام القلوب وتصحو ...

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (1) .

● ولأن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم ، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ، ونهاية الكفر والفجور ، وجزاء الشاكرين لأنعم الله ، وعقوبة الكافرين بها .. وكيف يجني من يغرَس الخير ، ويحصد من يزرع الشوك ؛ ولذا عني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين ، وتواريخ الغابرين ، لما فيها من عبر بليغة ، وعظات حية .. كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّخِيصٍ ﴾ (2) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿ (2) .

وكثيرًا ما يعقب القرآن على نهاية الأمم تعقيبات تُبرز ما وراءها من دروس وعبر ..

(1) سورة الحج الآية : 46 .

(2) سورة ق الآيتان : 36 - 37 .

مثل قوله بعد قصة ثمود : ﴿ فِتْلِكَ يُوْتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٧﴾ (1) .

ويقول القرآن بعد قصة موسى عليه السلام وفرعون : ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٢٠٦﴾ (2) .

والداعية يحتاج إلى أن يستشهد للمعاني والقيم التي يدعو إليها بأحداث التاريخ ، ومواقف الأبطال ، وأحوال الأمم .. فهذا أعون على تثبيتها في العقول والقلوب ..

● ولأن التاريخ كثيرًا ما يعين على فهم الواقع المائل ، ولا سيما إذا تماثلت الظروف ، وتشابهت الدوافع ، وهذا ما جعل العرب قديمًا يقولون : « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، وجعل الغربيين يقولون : « التاريخ يعيد نفسه » ، بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حين أشار إلى تشابه الأقوال عند تشابه البواعث .. وذلك في مثل قوله تعالى عن المشركين وطلبهم الآيات الكونية من رسول الله ﷺ كقولهم : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴿٣﴾ ، فردّ الله عليهم حين طلبوا هذا الطلب الذي يُقصد منه التعجيز : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٤﴾ (4) .

ونودّ أن ننبّه الداعية الذي يطالع التاريخ إلى الحقائق التالية :

أ - أن يستخرج المغزى الأخلاقي للتاريخ ، واتجاهات الأحداث فيه ، وحصادها الناطق بلسان الحال ؛ وأن يستنبط منه رؤوس العبر ، ومواقع العظمة .. لا أن يستكثر من الجزئيات ، ويُسهب بالتفصيلات والوقائع ..

ب - أن يكون ذا وعي يقظ للوقائع التاريخية التي تخدم موضوعه ، وتعمق فكرته ، وتقدم لها الشواهد الحيّة .. وليس من اللازم أن يجد هذه الوقائع في كتب التاريخ المتخصصة ، بل كثيرًا ما يلتقطها بحسه الواعي من مصادر قد لا يلتفت إليها كثيرًا رجال التاريخ ، فقد يلتقطها من القرآن الكريم فيما قصّ علينا من أخبار الأمم ، وقد يلتقطها من كتب الحديث والآثار .. وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل كتاب « الخراج » لأبي يوسف ، وكتاب « الأموال » لأبي عبيد ، وقد يلتقطها من كتب الأدب ، أو كتب الحسبة ، أو كتب الرحلات ، أو كتب الفتاوى .. أو غيرها .

(1) سورة النمل الآيتان : 52 - 53 . (2) سورة الأعراف الآية : 137 . (3 ، 4) سورة البقرة الآية : 118 .

ج - ال يعني بسير الرجال ، ومواقف الأبطال ، وبخاصة العلماء ، والدعاة ، والمرشدون الربانيون ، والأئمة المجتهدون .. وفي تاريخنا ثروة من السير تتمثل فيها الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، وتبرز الشخصية المسلمة مجسدة في مواقف وأعمال .. كما نلمس ذلك في كتب الطبقات والتراجم ، ونجد ذلك في « وفيات الأعيان » و « طبقات ابن سعد » و « تهذيب التهذيب » و « حلية الأولياء » و « صفة الصفوة » ..

د - أن يهتم بربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية ، فالذي يطالع تاريخنا الإسلامي بعمق ، ويتأمل سيره بدقة ، يجد أن المدّ والجزر ، والامتداد والانكماش والنصر والهزيمة ، والازدهار والذبول ، والغنى والفقر .. كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة بالإسلام أو انفصالها عنه ، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها ، وحسبنا أن ننظر نظرة عَجلى إلى عصر الراشدين ، أو عصر عمر بن عبد العزيز ، أو عصر الرشيد ، أو عصر نور الدين وصلاح الدين .. لنرى تمسكاً بالدين أو رجعة إليه ، ونرى ثمارها عزًا وازدهارًا ، والعكس بالعكس في عصور أخرى ..

هـ - أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة ، وأثره في تربية الأجيال ، وتكوين الأمة المسلمة ، وإقامة الدولة الإسلامية ، وبناء الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية ، وتأثير الإسلام في العالم كله ، وقدرته على الانتشار عند القوة ، والمقاومة عند الضعف ، واستطاعته التأثير في الناس ليعتنقوه عن رضئ واختيار - كما تم ذلك مع السلاجقة والتتار - واختزانه أيضًا كل أسباب الحيوية ، وطاقات القوة لإمداد أمة الإسلام بروح الجهاد ، وعنصر المقاومة .. لإثبات الذات ، واستعادة المجد ..

وينبغي للداعية أن يركز على الحقائق التاريخية التالية :

1 - يجب إبراز الجاهلية العالمية والعربية بكل أفكارها ، وتصوراتها ، ودعواتها وأساليبها .. بلا إفراط ولا تفريط .

ذلك أن النزعات التبشيرية ، والاستشراقية ... تريد أن تُلبس الجاهلية الحاضرة لبوسًا حسنًا ، مضخّمة ما كان لها من حسنات ، متغاضية عما عجزت به من مثالب ، وقد طرب لذلك القوميون ، وخصوصًا من العرب ، فحرصوا على عرض الجاهلية العربية مبرّأة من كل عيب .. كما يبدو ذلك في دراسة التاريخ والأدب ، وما سمي « المجتمع العربي » .. متجاهلين كل التجاهل ما كان عليه العرب قبل

الإسلام من فساد العقائد ، والأخلاق ، والأنظمة ، والتقاليد !! .

ورضي الله عن عمر الذي قال : « إنما تنقض عرا الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » .. وهذا بشرط ألا يمس ذلك ما تميزت به أمة العرب ، ولغة العرب ، وأرض العرب .. من خصائص ومزايا رشحتها لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة إلى الناس .. ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (1) .

2 - ينبغي الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام ، وبرجال التجديد الذين يبعثهم الله بين حين وآخر ليجددوا لأمة الإسلام أمر دينها ، أيًا كان لون هؤلاء الرجال واتجاههم ، فقد يكون منهم الخلفاء كعمر بن عبد العزيز ، أو السلاطين والأمراء كنور الدين الشهيد ، وصلاح الدين ، أو الفقهاء كأبي حنيفة والشافعي .. أو الدعاة والمصلحون كالغزالي ، وابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وحسن البنا .. وقد يكون المجدد فردًا ، أو جماعة ، أو مدرسة إصلاحية .. يبرز بها اتجاه في الإصلاح له سماته وخصائه ..

3 - كما يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره في حركات المقاومة والتحرير التي ظهرت في العالم الإسلامي ، منذ وطئت أرضه جيوش الاستعمار ، فرغم المكر الصليبي ، ومحاولات التخدير والتضليل .. لم يسلم الاستعمار من المقاومة الباسلة في كل بلد دخله ، وأريقته الدماء ، وسقط الشهداء تلو الشهداء .. ولم تزل المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير ، وكان الإسلام وعلماءه ودعاته .. وراء هذا الجهاد للاستعمار بريطانيًا كان أو فرنسيًا أو إيطاليًا أو أسبانيًا كأمثال الشيخ ابن باديس في الجزائر ، والشيخ عمر المختار في ليبيا ، والشيخ العربي الدرقاوي في المغرب ، والشيخ عز الدين القسام في فلسطين .. ومئات غيرهم ، وقد شهد بذلك مؤرخون غربيون مثل « برنارد لويس » في كتابه « الغرب والشرق الأوسط » .

وعلى الداعية أن يحذر في المجال التاريخي أمرين هامين :

● الأول - أن يحذر الروايات التاريخية التي دُونت بلا تمحيص ولا تحقيق ..

ليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحًا مائة في المائة .. فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى !!؟ .

(1) سورة الأنعام الآية : 124 .

وكم لعبت الأهواء والعصبية السياسية والدينية والمذهبية دورها في كتابة التاريخ وفي رواية وقائعه ، وتلوين أحداثه ، وتصوير أبطاله مدحاً أو ذمّاً ، إيجاباً أو سلباً ! وخصوصاً إذا علمنا أن التاريخ يكتبه عادة المنتصرون الغالبون ، والغلبة لها بريق وأضواء كثيراً ما تغشى أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين ، في حين تُضخّم أخطاء المغلوبين ، وتطمس فضائلهم عن قصد أو غفلة .

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي الذي يتعلق بأمثل عصور الإسلام وأفضلها وهو تاريخ العصور الأولى التي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية ، والتي انتشر فيها الإسلام في الآفاق ، وانتشرت معه لغته وفقهه ، واتسع فيها تعلم كتابه ، وسنة نبّيه ، وهو تاريخ عصر الصحابة ومن تبعهم بإحسان .. إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظلم وشوّه في كتب التاريخ أي ظلم وتشويه !! ثم يجيء المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعجزها وبجرها ، وبغثها وسمينها .. ، ويقولون : نحن لم نجد عن الطريقة العلمية الموضوعية ، فمصدرنا فيما نقل من نصوص تاريخية : الواقدي ، أو الطبري ، أو ابن الأثير .. نعزو فيما نأخذ إلى جزء كذا ، صفحة كذا ، طبعة كذا ..

هكذا يصنع المستشرقون ، وهكذا يفعل أساتذة التاريخ في الجامعات ، وهكذا يسير الذين يكتبون عن التاريخ ممن يريدون أن يشوّهوا تاريخنا الناصع ، ويطعنوا بعظماننا الأفاضل ..

كان لزاماً على علماء الإسلام ، ورجال الاختصاص ، وأهل التحقيق .. في كل زمان ومكان أن يكلفوا أنفسهم في البحث عن النصوص التاريخية ، والتحقّق من أسانيدها ، والعوامل السياسية التي أثّرت فيها .. ولا سيما المطاعن التي سدّدت لجيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان ..

لنأخذ أهم هذه المصادر القديمة وأشهرها وهو : تاريخ الطبري .

لقد كانت الفكرة المهيمنة على الطبري عند كتابة تاريخه هي التجميع والتسجيل ، دون الانتقاء أو التمحيص للأسانيد أو الوقائع المروية ؛ فمن كان عنده خبر ذوبال نقله عنه ، ودوّنه منسوباً إليه ، وإن كان راوي الخبر من الضعفاء أو المتهمين أو المتروكين .. وإنما دفعه إلى ذلك حب الاستقصاء ، والخوف من أن يفوته بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي ..

هذا عذر الطبري .. وله أيضاً عذران آخران :

أولهما : أنه يروي الحوادث بسندها إلى من رواها ، ويرى أنه إذا ذكر السند فقد

برئ من المسؤولية ، ووضعها على عاتق مَنْ روى ، وقد قيل : « من أسند فقد حمّل » أي حمّل البحث في سنده ، وكان هذا مقبولاً في زمنه حيث يستطيع العلماء أن يعرفوا رجال السند ، ويحكموا لهم أو عليهم .

ومن هنا قال الطبري في مقدمة تاريخه : (.. فما كان في كتابي هذا مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤتَ ذلك مِنْ قِبَلِنَا ، وإنما أتى من قِبَلِ بعض ناقله إلينا ، وإنما أدّينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا ..) .

وبهذا حمّل الطبري رواته التبعة ، وحمّل بالتالي دارس كتابه أن يفتش عنهم في كتب الرجال ومصادر الجرح والتعديل .. ليعلم - بعد الدراسة - مَنْ هو موثوق ، ومن هو مضعّف ، ومن هو متروك .

فممن روى عنهم الطبري مثلاً : الواقدي كذّبه جماعة من أئمة الحديث ، مَنْ قَبِلَه لم يقبله بإطلاق .

وكذلك روى عن هشام بن محمد الكلبي وأبيه ، وهما متهمان بالكذب .

وأيضاً روى عن سيف بن عمر التميمي الذي كان يضع الحديث ، ويروي الموضوعات عن الأثبات ، اتّهم بالزندقة ، وضعّفه غير واحد .

وغير هؤلاء كثيرون من المجروحين المتروكين عند أئمة الجرح والتعديل من علماء الحديث ، وإن كان رجال التاريخ والأخبار يرؤون عنهم ، ويستندون إليهم .

ومن أجل هذا لا يقيم المحققون وزناً لروايات « الإخباريين » ، ولا يعتمدون عليها ، ويعيبون من ينقل عنها في كتب العلم المعتمدة ؛ ولهذا نجد الإمام النووي يقول في كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر النمري : (إنه من أحسن الكتب المؤلفة في الصحابة وأكثرها فوائد لولا ما شأنه بذكر ما شجر بين الصحابة ، وحكايته عن الإخباريين) .

والعذر الثاني : للطبري في عدم تمحيص ما رواه في تاريخه : أن الموضوع في التاريخ لا يترتب عليه حكم شرعي من تحليل ، أو تحريم ، أو إيجاب ، أو غير ذلك .. مما يتعلق به علم الفقه ، كما أنه لا يتصل ببيان كلام الله أو كلام رسوله كما في علم التفسير أو علم الحديث ..

ولا غرو أن وجدنا الطبري الذي كان إمامًا جليل القدر في التفسير والحديث والفقہ .. يدقق ويحقق فيما يتصل بهذه العلوم المذكورة ، ولكنه يترخص ويتساهل في أمر التاريخ ، قائلاً في تسويغ ذلك : (إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج) ويقصد الاحتجاج بالأحكام الشرعية .

وغفر الله للإمام الطبري ، فإن هذا التساهل شوّه تاريخ فجر الإسلام ، وأساء إلى موضوعية التحقيق والمناهج العلمية ، وفتح باب الاعتذار نفسه لمن بعده ، فأخذوا عنه كما أخذ عمّن قبله ، وأدّوا إلى من بعدهم كما أدّى هو إليهم .. ومن ثم نرى أن ابن الأثير ، وأبا الفداء (ابن كثير) وغيرهم ، يعتمدون على الطبري ، ثم جاء المعاصرون والمستشرقون وبعض الذين في قلوبهم مرض .. فاعتمدوا على هؤلاء ، واعتبروا ذلك علمًا وتحقيقًا ومنهجيًا علميًا موضوعيًا !! ولا عجب أن قام فقيه كبير ، وإمام جليل في القرن السادس الهجري هو القاضي « أبو بكر بن العربي » بالدفاع عن الصحابة ، وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرسول ﷺ تحقيقًا علميًا موضوعيًا ، وذلك في كتابه القيم : « العواصم من القواصم » الذي أخرج الجزء الخاص منه بالصحابة وحققه وعلّق عليه بإفاضة : العلامة المحقق : الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله ، وجزاهما عن الإسلام خيرًا ، وإن خير ما كُتب فيما وقع بين الصحابة من مشكلات ، وما ذكر عنهم من تحقيقات كتاب « معاوية بن أبي سفيان » - رضي الله عنه - للكاتب المحقق العالم الأستاذ « منير الغضبان » حفظه الله ، وكذلك كتاب « الدولة الأموية » للأستاذ المحقق « يوسف العش » .

● الثاني - على الداعية أن يحذر التفسيرات المشوّهة للتاريخ من قبل أعداء الإسلام ..

في عصرنا اليوم الذي هو عصر الأهواء والعصبية والتيارات الفكرية يتعرض تاريخنا الإسلامي لتفسيرات مشوّهة مغرضة من قبل أناس قلبوا الحقائق ، وحرّفوا الكلم عن مواضعه ، وإليك - أخي الداعية - نماذج من هذا القلب والتشويه :

فالمستشرقون والمبشرون .. حين يبحثون في التاريخ يخدمون به فكرة بيتوها عن محمد ﷺ ودينه وأصحابه ، فمحمد عند هؤلاء ليس برسول الله ، والإسلام ليس بدين الله ، وأصحابه ليسوا إلا عصابات من المغامرين المتنافسين على الدنيا ، المتعطشين لإراقة الدماء ، المكرهين الأمم بالقوة على الإسلام .. لا يعتقدون بدين سوى

اليهودية والنصرانية ، أما الإسلام في زعمهم نسخة محرّفة منهما ، وتعليم بشر ، حتى الحضارة الإسلامية فإنها طبق الأصل عن حضارة اليونان والرومان .. ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَلْفَاكٌ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْكُفْرِ﴾ .

وفي سبيل هذا يغفلون أحداثاً قيّمة ، ويضخّمون أحداثاً تافهة ، ويعتمدون أخباراً ضعيفة أو مكذوبة ، يتصيّدونها من أي كتاب ، ولو كان كتاب « الأغاني » للأصفهاني .

ويوجهون هذا كلّ توجيهًا مغرضًا مسمومًا يؤيد اعتقادهم السابق عن الإسلام وكتابه ورسوله وأصحابه وأمته .. كأمثال المبشرين : جرجي زيدان ، وفيليب حتي ، وسلامة موسى ..

والماركسيون الشيوعيون .. يفسرون التاريخ - وفقًا لفلسفتهم المعروفة - تفسيرًا ماديًا طبقيًا ، ويحاولون أن يطبقوا ذلك على نشأة الإسلام وظهوره ، ويسفّون في ذلك غاية الإسفاف ، ويحمّلون الوقائع والأحداث ما لا تحمل ، ويقسّمون الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يمين ويسار ، ويديرون صراعًا موهومًا بينهم ..

وكثيرٌ من كتّاب المسلمين أنفسهم - وبالأسف - يخلعون على حوادث التاريخ ، ومواقف رجاله ما عرفوه وخبروه من ألعاب السياسة ، ومواقف رجالها في هذا .. ويتخيّلون العلاقة بين عمر وخالد ، أو بين عثمان وعلي ، أو بين علي ومعاوية وطلحة والزبير .. رضي الله عنهم جميعًا من أمثال العلاقة بين الطامحين والطامعين من رجالات الأحزاب ، وتجار السياسة في عصرنا ، ويفسّرون المواقف والأحداث تبعًا لهذا تصوّر الظالم ، والمتجنّي على هذا الجيل المثالي الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله بل عقت أم التاريخ أن تلد جيلًا مثل هؤلاء !! .

والقوميون من العرب .. يوجهون التاريخ الإسلامي كلّ وجهة قومية بحتة ، فالإسلام في نظرهم انتفاضة عربية أو وثبة من وثبات العبقريّة .. ورسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه بطل قومي ، جادت به أمة العرب على الإنسانية !! ..

فمن الطبيعي بعد هذا التفسير المشوّه للتاريخ أن يغدو أبطال الإسلام ، وعلمائوه ، ورجالاته الكبار على مدار الزمن في نظر هؤلاء أبطالاً عربًا ، وأن تُسمّى الحضارة الإسلامية أيضًا « حضارة عربية » ..

وذلك لقطع الصلة بين العرب وبين الإسلام .. علمًا بأنه لولا الإسلام لما كان للمسلمين في التاريخ بطولات ولا حضارة ولا أمجاد .. ورحم الله الفاروق عمر أمير المؤمنين القائل فيما رواه الحاكم : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا

العزة بغير ما أعزنا الله به أدلنا الله (.

فعلى الداعية أن يحذر مثل هذه التشويهات والتفسيرات للتاريخ الإسلامي ، بل عليه أن يُحذّر الجيل المسلم من أن يقعوا في شركها ، ويتأثروا بمفاهيمها ..

3 - الثقافة اللغوية والأدبية

وإذا كانت الثقافة الإسلامية لازمة للداعية في الدرجة الأولى ، فإن الثقافة الأدبية واللغوية لازمة له كذلك ؛ لكونها مقومة للسان ، محسنة للتعبير ، محببة للسامع ..

● واللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان ، وصحة الأداء ، وجودة التعبير .. فضلاً عن حسن أثرها في السامع ، فالأخطاء اللغوية - إن لم تُحرف المعنى ، وتشوّه المراد - يمجّها الطبع ، وينفر منها السمع ..

وانظر - أخي الداعية - كم يقشعرّ جلدك ، ويتأذى سمعك حين تسمع داعية ينصب المرفوع ، ويرفع المنصوب ، ولا يفرّق بين الفاعل والمفعول .. فلا يكاد يُنهي كلمة من كلماته إلا أصابك ذهول ووهلة ، أو لطمك - ولطم الخليل وسيبويه معك - لطمة أيّ لطمة !! ..

وشر ما يكون ذلك إذا كان اللحن في كتاب الله تعالى ، أو سنة رسوله ﷺ .

مثال ذلك : ذكر القرطبي في تفسير الآية الثالثة من سورة براءة أن أعرابياً قدم المدينة المنورة فقال : من يُقرئني مما أنزل على محمد ﷺ ؟ فأقرأه رجل سورة براءة حتى أتى الآية الكريمة : ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾⁽¹⁾ فقرأها عليه بالجر « رسوله » ، فقال أيضاً أبرأ من رسوله !! فاستعظم الناس الأمر وبلغ عمر - رضي الله عنه - فدعاه فقال : يا أعرابي أبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال يا أمير المؤمنين : قدمت المدينة فأقرأني رجل سورة براءة ، فقلت : إن يكن الله بريئاً من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر : ما هكذا الآية يا أعرابي قال : فكيف يا أمير المؤمنين؟! فقرأها عليه بالضم « ورسوله » ، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برى الله ورسوله منه ، فأمر عمر ألا يُقرئ الناس إلا عالم بلغة العرب .

● والأدب بشعره ونثره وأمثاله وحكمه ووصاياه وخطبه .. مهم جداً للداعية ؛ يتقف به لسانه ، ويجوّد أسلوبه ، ويرهف حسّه ، ويوقفه على أبواب من العبارات الرائقة ، والأساليب

(1) سورة التوبة الآية : 3 .

الفائقة ، والصور المعبرة ، والأمثال السائرة ، والحكم البالغة ، ويفتح له نافذة على الروائع والشوامخ ، ويضع يده على مئات بل ألوف من الشواهد البليغة التي يستخدمها الداعية في محلها فتقع من القلوب أحسن موقع وأبلغه .. وفي طليعة ذلك القرآن الكريم المعجز للبشر في أسلوبه وبيانه ، وكذلك السنة النبوية التي تحاكي إعجاز القرآن الكريم في جمال تعبيرها وبلاغتها ..

ومما يؤكد هذه المعاني الشواهد التالية :

جاء في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » .

وسمع النبي ﷺ الشعر من أكثر من شاعر ، واستجاده واستزاد منه ، وكان من أصحابه شعراء معروفون مثل : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .. رضي الله عنهم ، وأذن لحسان - رضي الله عنه - أن يذود عن الإسلام بلسانه وشعره ، ويردّ عن رسول الله ﷺ هجو شعراء قريش ، وكان يقول له : « اهْجُهم وروح القدس معك ، إن كلامك أشدّ عليهم من وقع النبل » .

وروى مؤرخو الأدب كثيراً من الشعر للخلفاء الراشدين ، وخصوصاً لعليّ كرم الله وجهه ، فقد روي عنه كثير من الشعر الجيد البليغ ، كما رووا أيضاً لكثير غيرهم .

ومن لم يقل الشعر منهم فقد رواه ورغب في روايته :

فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : (علّموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل ، ورؤوهم ما جمل من الشعر) . وقالت عائشة رضي الله عنها : (رؤوا أولادكم الشعر ؛ تعذب ألسنتهم) .

وقال المقداد بن الأسود : (ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بشعر ولا فريضة (علم المواريث) من عائشة رضي الله عنها) .

وكان عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - من أروى الناس للشعر ، حتى حكوا أنه كان يحفظ رائية عمر بن ربيعة ، وكان يستند إلى الشعر في تفسيره للقرآن ، كما يعرف ذلك من محاورته لنافع بن الأزرق .

ويروى أن زياداً بعث بولده إلى معاوية - رضي الله عنه - فكاشفه عن فنون من العلم ، فوجده عالماً بكل ما سأل عنه ، ثم استنشده الشعر فقال : لم أزو منه شيئاً ، فكتب معاوية إلى زياد يقول له : ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق

ليرويه فيبر ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل ... وهذا يدلنا على مقدار ما للأدب عامة ، وللشعر خاصة من تأثير في النفس البشرية ، كما يدلنا على أن العناية بالأدب ، والتضلع منه ، والاطلاع على مصادره ، والحرص على ترديد فوائده ، والاستفادة منها عند الحاجة أمر لازم للداعية الناجح الموفق .

ولنضرب على ذلك مثلاً :

هب أنك تتحدث إلى الناس عن حقوق القرابة ، وصلة الرحم ، وذكرت من الشواهد ما تيسر من الكتاب والسنة ، أفلا يكون مما يوسّع أفق حديثك ، ويزيده تأثيراً على تأثير أن تذكر بعض ما حفلت به كتب الأدب في ذلك من شعر ونثر ..

فمن ذلك : قول علي رضي الله عنه : (أكرم عشيرتك ؛ فإنهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي إليه تصير) .

ومن ذلك : قول طرفة في معلقته :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

وقول الآخر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه

وقول الحماس :

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وإن الذي بيني وبين بني عمي لمختلف جدّا

إذا أكلوا لحمي وفرث لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهمو
وليس كبير القوم من يحمل الحقد

وقول الآخر :

قومي همو قتلوا أميّم أخي
فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جلاً
ولئن رميت لأوهن عظمي

حتى الطرائف والملح الأدبية يجد الداعية الموفق لها مكانها ووقتها ، فينتفع بها ، ليثبت بها معنى معيناً ، أو ليروّح بها عن سامعيه .. كما قيل : (إن القلوب تملّ كما

تملّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة) .
 وكثيراً ما استعار أهل المحبة لله أشعار المدح والثناء .. فاستعملوها في أغراضها
 الربانية ، ولم يلتفتوا إلى المناسبة التي قيل بها الشعر ..
 وقد أنشأ أبو فراس الحمداني أبيتاً من قصيدة يخاطب بها أميره وابن عمه سيف
 الدولة ، فنقلها الصالحون إلى مخاطبة الحقّ جلّ جلاله ، وهي قوله :
 فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
 وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
 إذا صح منك الودّ فالكل هينّ وكل الذي فوق التراب تُراب
 ولكن على الداعية أن يتجنّب أشعار الفُحش ، وطرائف الغيبة ، ومُلح التعريض
 بالناس ؛ حتى لا يقع في مخالفات شرعية ، أو يثير في النفوس أحقاداً نفسية ، أو
 يسبّب في الأمة انقسامات اجتماعية ..

* * *

4 - الثقافة الإنسانية

ونعني بها أن يلمّ الداعية إلماماً مناسباً بأصول ما يُعرف الآن باسم « العلوم
 الإنسانية » مثل : علم النفس وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد ، وعلم الفلسفة ،
 وعلم الأخلاق ، وعلم التربية ، وعلم الجغرافيا ..
 وإنما أوصينا الداعية بالإلمام بهذه العلوم لعدة أسباب :

- لأن موضوعها له علاقة وثيقة بموضوع الدعوة ، أو قل : إن موضوعهما واحد وهو
 الإنسان : الإنسان في الماضي أو الحاضر ، الإنسان فرداً أو مجتمعاً ، الإنسان ريفياً أو متحضراً ،
 الإنسان أمياً أو متعلماً ، الإنسان مفكراً أو مقلداً ، الإنسان حيث كان وكيف يكون .
- ولأن الإلمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس ، وبخاصة الذين تثقفوا بهذه
 العلوم ، وأصبحت جزءاً من تكوينهم الفكري ، وإعدادهم الثقافي .. والداعية مأمور
 شرعاً أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وأن يبيّن لهم بلسان ثقافتهم ؛ ليفهموا
 عنه ، ولا يستطيع ذلك ما لم يكن بينه وبينهم قاسم مشترك من الثقافة ، يقرب
 المسافة ، ويزيل الفجوة العقلية والنفسية بين عالم الدين والمثقفين بالعلوم الحديثة .

● ولأن لهذه العلوم في كثير من الأحيان رشحات ضارة على الثقافة المعاصرة ، وسموما تنفثها في شتى المجالات ، لا يكاد يسلم منها كتاب أو مجلة أو صحيفة أو إذاعة أو غيرها ، ومن لم يعرف مصادر هذه الرشحات والسموم لم يستطع أن يقاومها بأسلوب علمي رصين بل لعلها - في بعض الأحيان - تتسلل إلى نفسه ، وتؤثر في فكره وقلبه ولسانه وهو لا يشعر ، ولهذا قيل : عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه .. والإمام الغزالي - رحمه الله - الذي سُمِّي بحجة الإسلام لو لم يكن عارفاً بالفلسفة الإغريقية ، والفلسفة اليونانية ، وغيرهما من الفلسفات التي سادت في عصره .. ولو لم يكن مطلعاً على سموم هذه الفلسفات وتأثيرها على الفكر الإسلامي وقتئذٍ ، لما أخرج لنا كتابه « تهافت الفلاسفة » الذي ردّ فيه على كثير من مفاهيم الفلسفة الباطلة التي أثرت ببعض المسلمين .

وإيكم هذا المثل فيما يستفیده الداعية من دراسة هذه العلوم :

حينما يقف الداعية ليتحدث إلى الناس عن موضوع « أثر التدين في بناء الأمم » مثلاً ، يمكن أن يستشهد بما قام به علماء النفس المحدثون من تجارب نفسية في بناء الشخصية الإنسانية على أساس التدين والإيمان .

من هذه الشواهد : ما سجله الطبيب النفسي الأمريكي الكبير المشهور الدكتور « هنري لنك » في كتابه « العودة إلى الإيمان » ، وقد طبع كتابه إلى ما قبل سنوات (47) مرة في أمريكا ، وقد أجرى أكثر من (ثلاثة وسبعين ألف) اختبار نفسي على عشرة آلاف نفس ، خرج منها بنتيجة هامة هي : (أن كل من يعتنق ديناً ، أو يتردد على دار العبادة ، يتمتع بشخصية أقوى ، وهو أفضل ممن لا دين له ، ولا يزاوِل أية عبادة ..) . ومن هذه الشواهد أيضاً : ما قرره الدكتور « كارل لونغ » في كتابه « الرجل العصري يبحث عن روح » : « إنه لم يجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر ، لا ترجع في أساسها إلا عن افتقاد الإيمان ، والخروج على تعاليم الدين ، ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلا حين استعاد إيمانه ، واستعان بأوامر الدين ونواهيهِ على مواجهة الحياة .. » .

ويستطيع الداعية بعد هذه الاستشهادات العلمية ، والتجارب الواقعية .. أن يردّ على الذين يزعمون أن الدين أفيون الشعوب ، مخدر للشخصية الإنسانية .. ومما يدعم هذا : ما قاله الفيلسوف الأمريكي الشهير « وليم جيمس » : « إن

أعظم علاج للقلق هو الإيمان حقًا ولا شك .
ومن المؤيدات : ما نقله « ديل كارينجي » عن الدكتور « أ ، أ ، بريل » قوله :
« إن المرء المتدين حقًا لا يعاني مرضًا نفسيًا قط » .

ويعقب على ذلك « كارينجي » نفسه بقوله : « وعندي أن أطباء النفس ليسوا إلا وعاظًا من نوع جديد ، فهم لا يحضوننا على الاستمسك بالدين توقيًا لعذاب الجحيم في الدار الآخرة فحسب ، وإنما يوصوننا بالدين توقيًا للجحيم المنسوب في هذه الدنيا : جحيم قرحات المعدة ، والانهايار العصبي ، والجنون ، والانتحار ... » .

وأريد في هذا المجال - أخي الداعية - أن أقف قليلاً عند علم الفلسفة :

إن الداعية الواعي حين يلتم بالفلسفة واتجاهاتها المادية والروحية ، والوضعية والمثالية ، وبتاريخ الفكر الإنساني عامة والإسلامي خاصة يفيد من وراء دراستها جوانب عدة أذكر لك أهمها :

● أن يتمكن من فهم الأفكار والفلسفات التي غزت كثيرًا من عقول أبناء المسلمين اليوم ، وأصبح لها دعاة وعلماء ومرّوجون في قلب ديار الإسلام من أساتذة الجامعات ، ورجال الأدب ، والثقافة ، والإعلام .. فهذا تقدمي ، وآخر ماركسي ، وثالث وجودي ، ورابع لا منتمي .. إلى غير ذلك من المدارس الغربية أو الشرقية ، الواقعية أو المثالية ، اليمينية أو اليسارية .. تختلف اتجاهاتها وتتفق على محاربة الإسلام .. فهذه المدارس لا نستطيع مقاومتها فكريًا ما لم نحسن فهمها وتصوّرها ودراستها .. وقديمًا قال أهل النظر : « الحكم على الشيء فرع من تصوّره » .

● أن يتمكن من الردّ على الفكر المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه ؛ لأن الردّ على المخالفين بأدلة القرآن والحديث لا يصلح لهؤلاء ؛ إذ هم لا يؤمنون بهما .

وهذا ما فعله الإمام الغزالي - رحمه الله - في كتابه « تهافت الفلاسفة » ، وما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابيه : « نقد المنطق » و « درء تعارض العقل والنقل » .. ولولا هضم هذين الإمامين للأفكار الفلسفية في عصرهما ما استطاعا نقضها من القواعد .

وهذا ما يجب أن يصنعه كل داعية للإسلام مع الأفكار الوافدة الهدامة .

● أن يعرف - بدراسة تاريخ الفكر - الأصول والمنابع لكثير من التيارات الفلسفية ،

والمذاهب الفكرية الحديثة كالمادية ، والشيعوية ، والوجودية .. وهذا يعين الاخ الداعية على تقويمها ونقدها نقدًا علميًا مستوعبًا ، كما يعرف الجذور التاريخية لكثير من التحريفات التي دخلت على الأديان الكتابية ذاتها كما يتضح ذلك من فكرة التثليث ، والصلب ، والفداء ، والبنوة لله ، وإلى ذلك يشير القرآن بقوله في أهل الكتاب : ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ .. ﴾ (1) .

● - أن ينتفع بما يجده من نتاج العقل ، وثمار الحكمة ، مؤيدًا لما معه من حق خالص جاء به الوحي ، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه : « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها » (2) .

ولا عجب أن يتفق العقل والنقل ، ويتعانق الدين والفلسفة ، ويلتقي نور الفطرة بنور الوحي الصادق .. بل الواجب أن يلتقي العقل الصريح ، والنقل الصحيح لا محالة ؛ لأن كليهما من آثار رحمة الله بعباده ، وبرّه بهم ، ونعمته عليهم ، وآثاره تعالى لا تتناقض ، فإن بدا لنا شيء من التناقض بين العقل والنقل ، فلا بد أن يكون النقل غير صحيح ، أو العقل غير صريح ، وهذا ما وضحه وبرهن عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه الأنفة الذكر .

ولاشك إنه حين يكتب عن أصول الفلسفة وتاريخها ، ومشكلاتها الكبرى ، وتياراتها المعاصرة .. مختصون إسلاميون تتميز هذه الفلسفة بالنضج والأصالة ، والإيمان العميق بما جاء به محمد ﷺ من الهدى ودين الحق ، وتحرّر من سيطرة أي غزو فكريّ دخيل ، بل تظهر الحقائق بأجلى صورها ومعانيها (3) .

* * *

أما عن علمي التربية والأخلاق : فهما من العلوم الإنسانية التي ينبغي للداعية أن يلمّ بهما وتختص فلسفة الأخلاق بالبحث عن الخير والشر كما هو معلوم .

ومن الكتب النافعة في علم الأخلاق :

(1) سورة التوبة الآية : 30 .
(2) الترمذي (26878) وابن ماجه (4162) .
(3) من أفضل ما كتب في ذلك : « الدين » للدكتور محمد عبد الله دراز : « الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي » « الفكر الإسلامي الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربي » « تهافت الفكر المادي التاريخي » هذه الكتب كلها للدكتور محمد البهي ، « قصة الإيمان بين العلم والفلسفة » للشيخ نديم الجسر ؛ « التفكير الفلسفي في الإسلام » « الإسلام والعقل » للدكتور عبد الحلیم محمود ؛ « نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام » « ومناهج البحث عند مفكري الإسلام » علي سامي النشار .

- « الفلسفة الخُلُقِيَّة » للدكتور توفيق الطويل .
- « المشكلة الأخلاقية والفلاسفة » ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر هلال .
- « مباحث في فلسفة الأخلاق » للدكتور محمد يوسف موسى .
- « كلمات في مبادئ علم الأخلاق » للدكتور عبد الله دراز .
- « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه .
- « دستور الأخلاق في القرآن » للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز .
- ولابد للداعية أيضًا من الاستفادة بعلوم التربية ، وخبرات المربين ، وتجاربهم العديدة المتنوعة في مجالات تعليم الكبار والصغار ، والانتفاع من أصول التربية وطرائقها في حسن توجيه المخاطبين ، وإيصال المعرفة إليهم ، وكيف يمكن التأثير في عقولهم وعواطفهم ، وإثارة حوافز الخير في نفوسهم ، ومطاردة نوازع الشر بين جنوبهم ، مع وجوب الاحتراز من النزعات الهدّامة ، والشطحات المتطرفة في الفلسفات التربوية الحديثة والمعاصرة .. والاستفادة أيضًا بما سطرته الأفلام الإسلامية ، وأبرزته في كل مجال من مجالات التربية ، ومن الكتب النافعة في هذا الباب :
- « فلسفة التربية الإسلامية » للدكتور عمر التومي الشيباني .
- « في أصول التربية الإسلامية » للدكتور عبد الغني عبود .
- « من الأصول التربوية في الإسلام » للدكتور عبد الفتاح جلال .
- « منهج القرآن في التربية » للأستاذ محمد شديد .
- « منهج التربية الإسلامية » للأستاذ محمد قطب .
- « نحو التربية الإسلامية » للأستاذ أبي الحسن الندوي .
- « تربية الأولاد في الإسلام » للشيخ عبد الله ناصح علوان .

* * *

5 - الثقافة العلمية

نعني بكلمة « العلم » مفهومها الشائع : ما قام على الملاحظة والتجربة ، وخضع للقياس والاختبار ، أو بعبارة أوضح : ما كان تحت نطاق الحسّ ، وتجارب المخبر ، مثل : علوم الفيزياء ، والكيمياء ، والأحياء ، والفلك ، والطب ، والتشريع ، وغيرها .

ولا نريد للداعية أن يتعمق في دراسة هذه العلوم ، فإن هذا غير مقدور عليه ،
والعمر لا يتسع ، والطاقة لا تحتمل ، والمعارف لا تنتهي ..

إنما نريد أن يطالع بعض الكتب الميسرة منها ، مما يعدّ لغير المتخصصين ؛ ولا بد أنه
درس طرفاً من هذه العلوم في المرحلتين : الإعدادية ، والثانوية دراسة تمكنه من متابعة
الفكر العلمي ولو بقدر فيما بعد .

والثقافة العلمية - أخي الداعية - مهمة في عصرنا للمثقفين عامة ، وللدعاة
خاصة ، وذلك لعدة أسباب :

أ - إنها مهمة لفهم الحياة المعاصرة ، وقد أصبح العلم شريانها ، والمحرك لكثير من
أمورها ، فما من بيت إلا دخلته آثار العلم الحديث من كهرباء ، وأجهزة ،
وأدوات .. حتى بيوت العبادة ، ولا يحسن بالداعية أن يعيش في دنيا يسيرها العلم ،
ويدير رحاها ، ولا يدرك الأوليات والأساسيات لهذا العلم .

ب - إن بعض ما يعزى إلى العلم يتخذ وسيلة للتشكيك في الدين مثل : « نظرية
النشوء والارتقاء » في الكائنات الحيّة التي تعرف بنظرية التطور « لدارون » وغيره ،
فلا بد من معرفة الأدلة العلمية في الردّ على هذه النظرية حتى يستطيع الداعية أن يبيّن
للناس حقيقتها ، وأدلة بطلانها علمياً ، فلا يتأثر أحد بالدعايات الكاذبة (1) .

ج - إن من الحقائق العلمية ما يمكن للداعية استخدامه في تأييد الدين ، وتوضيح
مفاهيمه ، ونصر قضاياها ، والذبّ عنه ، بدفع شبهات خصومه ، ومفتريات أعدائه ..

كيف يستخدم العلم في تأييد الدين ؟

1 - عن طريق العلم يضع الداعية النقاط على الحروف في الظواهر التي تدلّ على
الله لمواجهه الماديين والملاحدة ، فيقيم الأدلّة ، ويدحض الشبهات بوساطة فروع
العلم المتنوّعة : من رياضيات ، وفلك ، وفيزياء ، وكيمياء ، وأحياء ، وطبّ وغيرها .

كالاستشهاد بحقائق علمية أوردتها « كريسي موريسون » في كتابه « العلم يدعو
إلى الإيمان » ؛ وأوردتها ثلاثون عالماً أمريكياً في كتاب « الله يتجلى في عصر
العلم » ؛ وأوردتها الدكتور « أحمد زكي » في كتابه « مع الله في السماء » ؛ وأوردتها

(1) ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » تجد فيه ما يشفي الغليل في الرد على النظرية دينياً وعلمياً .

الشيخ « سعيد حوى » في كتابه « الله جل جلاله » ؛ وأوردها الدكتور « خالص كنجو » في كتابه « الطب محراب الإيمان » .. وكتب كثيرة غيرها .

2 - عن طريق العلم يستطيع أن يؤيد الداعية كثيراً من الأحكام الشرعية ، ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح للناس ، ودرء المفاسد عنهم .. وبذلك يزداد الذين آمنوا إيماناً ، ويتثبت المرتابون إن حصل لهم شك في كمال الشريعة ، وصلاحياتها للزمن . فمثلاً يستطيع علم الطب أن يعطينا صورة واضحة لما تجنيه « أم الخبائث الخمر » على شاربها من أضرار جسمية ، ونفسية ، وعقلية .. على الفرد والمجتمع .. ومثل ذلك : المخدرات ، والتدخين ، وأكل لحم الخنزير ، والزنى ...

وكذلك يستطيع علم الأحياء ، ووظائف الأعضاء ، وعلم الطب ، وغيره ، أن يبين لنا حقيقة الفوارق الفطرية بين الذكر والأنثى ، وأن هذا التفاوت لم يكن عبثاً ، وأنه من الخير لكلا الجنسين ، وللجماعة كلها .. أن يكون لكل منهما عمله الذي يتناسب مع حدود استطاعته ، وقابلية فطرته (1) .. وبهذا يتلاقى منطق العلم مع منطق الدين الذي هو منطق الفطرة السليمة .

3 - وثمة مجال آخر يمكننا فيه استخدام حقائق العلم الحديث لتأييد حقائق الدين ، وذلك بتعميق مدلولات بعض النصوص ، وتوسيع نطاق مفهومها ، وزيادة توضيحها :

- فإذا قال القرآن الكريم عن النحل : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (2) يستطيع عالم الأحياء ، أو الطب ، أو الأغذية .. أن يحدثنا بسعة عن عسل النحل وألوانه ، وما فيه من شفاء ، وفيم يكون ؟ وكيف يكون ؟

- وإذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ (3) .

أو قال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ (4) .

أمكن للعلم هنا بشتى فروعها أن يفيض في بيان دقة التقدير في كل ما خلق الله في الكون : فحجم الكرة الأرضية ، وبعدها عن الشمس بمسافة محدودة ، ودورانها

(1) إن من ألف في تبيان هذه الفوارق : الدكتور « ألكسيس كاريل » في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » ، وكذلك الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « المرأة في القرآن الكريم » ، وأيضاً الدكتور « محمد علي البار » في كتابه « عمل المرأة في الميزان » .. فارجع إليهم أخي الداعية .

(2) سورة النحل الآية : 69 . (3) سورة القمر الآية : 49 . (4) سورة الفرقان الآية : 2 .

حول نفسها بسرعة معينة ؛ وبعد القمر عن الأرض بمسافة محدودة كذلك ؛ واشتمالها على كمية المياه في بحارها ومحيطاتها بهذا المقدار ؛ ووجود الغازات فيها بنسب ومقادير معلومة .. وغيرها .

كل ذلك يدل على روعة التقدير الإلهي ، والنظام الكوني لكل ما في الكون من مخلوقات .

وبهذا يستطيع الداعية أن يعمق في عقول الناس وقلوبهم هذه المعاني الرائعة .. فيزدادون بها إيماناً و يقيناً ..

- وإذا قال الله تعالى : ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (1) .

يستطيع العلم هنا كذلك أن يبين لنا سعة آفاق الهداية الإلهية المبثوثة في الكون : علويته وسفليته ، إنسانه وحيوانه ، نباته وجماده .. كل شيء فيه هُدي لغايته ، وتيسر لما خُلق له ، ومُنح ما يساعده على ذلك من سنن الله ، وقوانين الكون .. نجد كل ذلك في أضخم ما في الكون إلى أصغر ما فيه ، من المجرة إلى الذرة ...

4 - ومجال رابع يدخل فيه العلم ، ويصوب ويجول ، وهو بيان سبق القرآن الكريم بكثير من الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث .

وقد عنى كثيرون في عصرنا بهذا الميدان إلى حد الإفراط والتجاوز في بعض الأحيان ، كما رفضه آخرون بالكلية ، واستخدمه آخرون بتحفظ واعتدال ، وهو الحق ؛ وأعني بالاعتدال أن لا نتعسف في التأويل ، ولا نُخرج الألفاظ والتراكيب عن مدلولاتها اللغوية ، وأن لا نحمل النصوص أكثر مما تحتمل ..

ومن أمثلة الاعتدال :

(في سورة فصلت : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (2) ، إن مادة الخلق « دخان » وهو عين ما يسمى السديم ؛ وفي سورة الأنبياء : ﴿ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (3) ، « كانتا رتقا » أي كانتا مادة واحدة متصلة ، « ففتقناهما » أي فتقهما الله جلّ جلاله ، وجعل كلّاً منهما خلقاً مستقلاً ، وبث فيها أنواع الدواب ، ولم يكن أحد يعتقد أن في شيء من هذه الأجرام حيواناً ؛ وأنه

(1) سورة طه الآية : 50 . (2) سورة فصلت الآية : 11 . (3) سورة الأنبياء الآية : 30 .

سبحانه جعل من الماء كل شيء حي ؛ وأنه خلق جميع الأحياء النباتية والحيوانية (والبشرية) أزواجاً فجعل في كل منهما ذكراً وأنثى ؛ وأنه جعل كل نبات موزوناً ، يعني أن عناصره متوازنة على نسب مقدرة ؛ وأنه أرسل الرياح لواقح ؛ وأنه ﴿يَكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾⁽¹⁾ ، والتكوير هو اللّف على الجسم المستدير ، وهو صريح في كروية الأرض ودورانها اللذين كانا موضوع الجدال والنضال بين العلماء إلى عهد قريب بعد الإسلام .

وأمثال هذا كثير ، حتى إن بعض آيات القرآن في الشمس والقمر والنجوم ، وسبحها في أفلاكها ، وجريانها إلى أجل مسمى ، وفي تناثر الكواكب عند خراب العالم .. لا تفهم فهماً صحيحاً إلا في ضوء علم الفلك الحديث .

وأعجب منه إثبات القرآن الكريم أن للحق سنناً لا تتبدل ، وبيانه لكثير منها ؛ ومنها : سنن الاجتماع التي لم يهتد البشر إليها بالبحث العلمي إلا بعد بيان القرآن لها بقرون⁽²⁾ .

إن الداعية هو الذي يحسن استخدام حقائق العلم في المجالات التي ذكرناها .. يجد طريقه إلى أذهان الناس وعواطفهم سهلاً معبداً ، ويقع كلامه من نفس المثقفين العصريين موقع القبول ، وحسن التأثير .. ولعل هذا من أظهر الأسباب وراء نجاح بعض الدعاة المرموقين في عالمنا العربي والإسلامي اليوم .

* * *

6 - الثقافة الواقعية

ومن أهم ما يلزم الداعية : أن يتسلح بسلاح الثقافة الواقعية ، ونعني بها : الثقافة المستمدة من واقع الحياة الحاضرة ، وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن .. في داخل العالم الإسلامي وخارجه .

فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصّل العلوم الإسلامية ، وجال في مراجع اللغة والأدب والتاريخ ، وأخذ حظه من العلوم الإنسانية ، والعلوم التجريبية ، ولكنه مع هذا لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه ، وما يقوم عليه من نظم ، وما يسوده من

(1) سورة الزمر الآية : 5 .

(2) الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ص : 307 - 308 .

مذاهب ، وما يحركه من عوامل ، وما يصطرع فيه من قوى ، وما يجري فيه من تيارات ، وما يعاني أهله من متاعب ، وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير : بآلامه وآماله ، وأفراحه وآسيه ، ومصادر قوته ، وعوامل ضعفه ، وبعد ذلك وطنه الصغير ، وبيئته المحلية ، وما يسودها من أوضاع وتقاليد ، وما تقاسيه من صراع ومشكلات ، وما يشغل أهله من قضايا وأفكار ..

إن الداعية الواعي لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم ، وكيف يدعوهم ؟ وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟! ولهذا حين بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن - كما روى الستة إلا مالكاً - قال له : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، وتردّ على فقرائهم ، فإذا هم أطاعوك بها فخذ منهم وتوقّ كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب » (1) .

ومن هذا النص يؤخذ : أنهم لو كانوا مجوسًا أو ملاحدة أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى .

ومن هنا يجب على الداعية في عصرنا أن يدرس :

1- واقع العالم الإسلامي : بمعرفة خلاصة مركزة عن أوضاعه الجغرافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وتوزيع سكانه ، وأسباب تخلفه وتفترقه ، وعوامل تقدّمه ووحدته ، وإمكانات تكامله اقتصاديًا ، وتضامنه سياسيًا وعسكريًا ، فضلًا عن تقاربه اجتماعيًا وثقافيًا .

أضواء على فكرة « الجامعة الإسلامية » أو « الكتلة الإسلامية » أو « التضامن الإسلامي » باعتباره خطوة عملية في طريق « الخلافة الإسلامية » .

مشكلات الأقليات والأكثرية الإسلامية المضطهدة : في الفلبين ، في قبرص ، في أريتريا ، في الحبشة ، في الاتحاد السوفيتي ، في أوروبا الشرقية ، في ألبانيا ، في يوغسلافيا ، في الصين ، في الهند ...

أخذ فكرة عن اندلاع الثورات الإسلامية في عدة مناطق في المجتمع الإسلامي

(1) صحيح البخاري كتاب الزكاة ب (1) ، صحيح مسلم كتاب الإيمان (29) ، وسنن الترمذي كتاب الزكاة ب (6) ، وسنن أبي داود كتاب الزكاة (5) ، وابن ماجه كتاب الزكاة ب (1) ، ومسند أحمد (232 / 1) .

لانتصار على الأنظمة الكافرة من شيوعية واشتراكية .. كما يحدث في أفغانستان ،
وسورية والفلبين ..

2 - واقع القوى العالمية المعادية للإسلام : وتتمثل هذه القوى في المثلث الرهيب :
اليهودية العالمية ، والصليبية العالمية ، والشيوعية الدولية ، وهي قد تختلف فيما بينها
مبدئاً وسياسة ، لكنها متفقة علينا معاداة وتأمراً ..

لابد من دراسة الأسباب والدوافع من وراء كيدها لنا : الحقد ، الطمع ، الخوف ،
الاستعلاء ، التسلط ..

ولابد من معرفة وسائلها في حربنا الممتثلة : في الحرب السياسية ، في الحرب
الاقتصادية ، في الحرب الفكرية ؛ خطورة هذه الحرب الأخيرة ، وأساليبها .
وأجهزتها : التبشير ؛ مؤسساته وإمكاناته الهائلة ، الغارة النصرانية على العالم
الإسلامي ، والصراع بين الإسلام والتبشير في أفريقيا ، التخطيط لتنصير أندونيسيا
أكبر بلد إسلامي ، محاولات التنصير في العالم العربي ، والتعاون بين التبشير
والاستعمار ، وكذلك الارتباط بين التبشير والشيوعية أخيراً .

ولابد من معرفة الاستشراق : أهدافه ووسائله ، إسهامه في إحياء التراث ، كتابات
المستشرقين عن الإسلام ومدى علميتها ، المنصفون والمتحاملون من المستشرقين ، سموم
الفكر الاستشراقي وآثارها في عالمنا العربي والإسلامي من تلاميذ المستشرقين .

ولابد من معرفة الغزو الشيوعي : عن طريق الخبراء ، والمساعدات ، والمؤسسات
الثقافية ، والبعثات التعليمية والتدريبية إلى البلاد الشيوعية ، وتأييد الأحزاب الشيوعية
في الداخل بالتمويل والتوجيه والعمالة ..

ولابد من معرفة المؤسسات المشبوهة : الماسونية وما تفرّع عنها : خطرها وأساليبها
الماكرة ، وتغلغلها في الطبقات الأرستقراطية ، وأصحاب الجاه والسلطان ، وتسيير
اليهودية العالمية لها بالخفاء ، للوصول إلى أغراضها ومخططاتها .

ولابد من معرفة الغزو من الداخل : عن طريق العملاء ، وعبيد الفكر الغربي ،
والأحزاب الموالية من ليبرالية ، ويسارية ، احتضان الفرق المنشقة عن الإسلام
كالقاديانية ، والإسماعيلية .. وغيرها من الفرق الباطنية الكافرة .

وينبغي هنا التنبيه على أمرين هامين :

أ - عدم التهويل أو التهوين من شأن القوى المعادية ومخططاتها حتى لا يؤدي ذلك إلى اليأس من مقاومتها .. أو الاستهانة بها والسكوت عنها ..

ب - الاستفادة من الصراع القائم بينها بذكاء ودهاء واستغلال الفرص المناسبة لذلك ، كالصراع بين روسيا والصين .. وقد كان السلف يقولون : اللهم أهلك الكافرين بالكافرين وأخرجنا من بينهم سالمين .

3 - واقع الأديان المعاصرة : معرفة اليهودية : ثوراتها المنحرفة ، وتلمودها الرهيب ، ونظرتها إلى الأميين (أي الأمم غير اليهودية) ، وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل .

ومعرفة « المسيحية » طوائفها ، وكنائسها المختلفة وما بينها من صراع ، محاولات التقارب بين بعضها بعضاً ، محاولات تقربها من اليهودية ، وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح (عليه السلام) ، محاولات ما يسمى « التقارب الإسلامي المسيحي » وأبعادها وأهدافها ..

ومعرفة « أديان الشرق الأقصى الكبرى » مثل : « الهندوكية » الوثنية : عقائدها وطوائفها ، موقفها من المسلمين .

« البوذية » : ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى ، وأثرها في حياة أتباعها .

4 - واقع المذاهب المعاصرة : ما أكثر المذاهب السياسية في عصرنا الحاضر ، وما أكثر مدارسها واختلاف تطبيقاتها ، وتعدد مناهجها !! ..

نرى ذلك في النظرية « الشيوعية الماركسية » ، ومدى اختلافها في تطبيق « لينين » ، وخلفائه في روسيا عن تطبيق « ماو » في الصين ، بل الخلافات التي وقعت بين « ستالين » ومن بعده « خروشوف » إلى « بريجينيف » .. وهذا يؤكد عجز الشيوعية عن تحقيق فلسفتها الخيالية في مساواة الدخول ، وزوال الدولة ، واشتراكية المال .. ويؤكد هذا تخلي بعض زعماء الشيوعية في أوروبا الغربية عن بعض المفاهيم الأساسية للماركسية كنظرية الصراع الطبقي .

هذا عدا عن موقف الشيوعية من الأديان عامة ، والإسلام خاصة ، وموقفها عن القيم الأخلاقية ، وموقفها من الحريات .. فإنها معروفة لدى جميع الناس .

ونرى ذلك في « الرأسمالية » المعاصرة ، ومدى مغايرتها للرأسمالية في بداية نشأتها ،

ويجب أن يتعرف الداعية على الرأسمالية في أمريكا ، وأوروبا ، واليابان ، وعلى آثار الرأسمالية الآن وموقفها من الدين ، وعلى معنى قيام أحزاب ديمقراطية مسيحية في أوروبا .

ونرى ذلك في « الاشتراكية » ، وكثرة مدارسها ، واختلافها فيما بينها من إصلاحية إلى علمية والجامع بين الاشتراكيات المختلفة ، والفرق بين الاشتراكية والشيوعية ، والاشتراكية وموقفها من الدين ، ومعنى قيام أحزاب اشتراكية مسيحية في أوروبا ...

ونرى ذلك في « الديمقراطية » ، وكثرة مدارسها واختلافها فيما بينها ، وادعاء كل من الشيوعيين ، والرأسماليين ، والاشتراكيين لها ، وديمقراطية الصراع السياسي ، أو الاجتماع السياسي ، أو التحالف السياسي ؛ وكذلك أزمة الديمقراطية في العالم ..

ونرى ذلك في « الدكتاتورية » ، وكثرة مسمياتها واختلافها فيما بينها ، وأنواعها : من دكتاتورية الفرد إلى دكتاتورية الطبقة إلى دكتاتورية الحزب .. وكذلك التعرف على التجربة الفاشية والنازية ، وأيضاً التعرف على أحوال الدكتاتوريات في عالمنا اليوم ولاشك أن موقف الإسلام من هذه المذاهب المعاصرة نسيج وحده ، ما وافق الإسلام منها في شيء خالفه في أشياء كثيرة .. تميّز الإسلام عنها في خصائصه ، في غاياته ، في وسائله ، في الدقة في تطبيقه ..

ومن الخطأ الفادح إضافة الإسلام إلى مذهب منها ، أو تسمية أنظمة الإسلام بمسميات هذه المذاهب كأن نقول : « ديمقراطية الإسلام » و « اشتراكية الإسلام » ...

وعلينا أن نعلم أي جناية نجنيها على ديننا وأمتنا حين نضع الحلول المستوردة موضع الأنظمة الإسلامية المتميزة . يجب أن يؤمن جيل الإسلام اليوم بحتمية الحل الإسلامي ، وخلود الشريعة الإسلامية على مدى الزمان ولأن الإسلام - كما ألقينا في الفصل الأول من هذا الكتاب - دين الله الخالد الشامل المتجدد العالمي ... إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (1) .

5 - واقع الحركات الإسلامية المعاصرة : يجب على الداعية أن يتعرف على الحركات العالمية ، والحركات الإقليمية ، والحركات الجزئية ، والحركات الشاملة في العالم الإسلامي ، وأهم هذه الحركات : حركة الإخوان المسلمين الممتدة في (15)

(1) سورة المائدة الآية : 50 .

دولة من دول العالم الإسلامي ؛ وحركة الجماعة الإسلامية في باكستان ، والهند ، وحركة « ماشومي » في أندونيسيا ، والحركة الإسلامية في تركيا ، والحركة الإسلامية في أفغانستان ، وحزب التحرير الإسلامي في الأردن وفلسطين ، وحركة التبليغ الإسلامي في مناطق عدة من العالم ..

ويجب أن يتعرف أيضًا على أهمية الجامعات ، والمعاهد الإسلامية ، ووظيفتها ، وعلى دور وزارات الأوقاف ، والشؤون الإسلامية في كل بلد إسلامي ؛ وعلى دور الأزهر الشريف ، ورابطة العالم الإسلامي ، والندوة العالمية للشباب المسلم ، وغيرها من المؤسسات في نشر الدعوة الإسلامية ، وأخيرًا على دور الدعوة المرشدين وأثرهم في تبليغ رسالة الإسلام ..

6 - واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام : ونعني بها التيارات الموجودة داخل العالم الإسلامي مثل :

- التيار اليساري أو الماركسي ، وهو تيار مادّي النظرية ، إلحاديّ الفكرة ، موالي للمعسكر الشيوعي .

- التيار الليبرالي ، وهو تيار استعماري النظرية والفكرة .. الموالي للمعسكر الغربي ، ويمثله كتاب وصحف وأحزاب .. وهو تيار علماني لا ديني ..
التيار القومي (القومية العربية ، أو الطورانية ، أو الفارسية ، أو الكرديّة .. ونحوها) ، وهو تيار علماني أيضًا ينادي دعائه بفصل الدين عن الدولة .

7 - واقع الفرق المنشقة على الإسلام : وأبرزها وأخطرها - كما يقول الأستاذ القرضاوي : البهائية ، والقاديانية .

أما البهائية فهي دين جديد مخالف للإسلام كل المخالفة ، ولا يزعم دعائها أنفسهم أنهم من الإسلام ، وإن نشأت أول ما نشأت في أرض الإسلام .

وأما القاديانية فهي فرقة مارقة تدّعي نبوة جديدة بعد أن ختمت نبوة محمد ﷺ ، وهذه تحاول جاهدة أن تلتصق بالإسلام ، وأمة الإسلام . وأمة الإسلام والمسلمين منها براء ..

وكلا الفرقتين تحظيان بمساندة القوى العالمية المعادية للإسلام ..

وأريد أن أنبه بأن هناك فرقًا باطنية منبثة في العالم الإسلامي والعربي هنا وهناك ،

وكلها حرب على الإسلام وأهله :

فرق تقول : بألوهية علي رضي الله عنه ، وعصمة الأئمة ..

وأخرى تقول : بألوهية آغاخان ، واستباحة المحرمات ، وشيوعية النساء والأموال ..

وثالثة تقول : بألوهية الحاكم بأمر الله ، وإسماعيل الدرزي ، واستباحة المحرمات ..

ورابعة تقول : بالدهرية ، وأساسها إنكار الخالق ، ونبذ الأديان ..

إلى غير ذلك من هذه الاعتقادات الباطلة ، والمبادئ الكافرة التي تأصلت في كثير من الفرق والمِلل والتي تعود جذورها - عند الأكثر منهم - إلى أصول يهودية .

8 - واقع البيئة المحليّة : وعلى الداعية أن يدرس أيضًا البيئة التي يعيش فيها ، ويعرف أوضاعها وتقاليدها ، ويتعمق في فهم مشكلاتها ، ونفسيّات أهلها وما يؤثر فيها ، وأن يعرف أيضًا أسلوب العمل الذي يتفق مع عقلية الناس واستعداداتهم ، ومستوى تفكيرهم ، ومبلغ استجابتهم وتقبّلهم وتأثرهم ..

فبلد انتشرت فيه الشيوعية أو الوجودية أو الاشتراكية .. مثلاً ، وأصبحت عند أهله انحرافات فكرية ، وعقدية ، وخلقية .. مثل هذا البلد تختلف الكتب التي ينبغي أن تنشر فيه ، ونوعية المحاضرات التي تحاضر فيه .. تختلف كليًا عن بلد فيه نصارى ، وعن بلد فيه أفكار رأسمالية ، وعن بلد فيه نزعة إلى الحرية والديمقراطية .. ولا بد من معرفة شاملة للمنحرفين .. ولا بد من تخطيط شامل ، وأسلوب مناسب ، منسجم مع هذا وذاك ..

كما على الداعية أن يعرف لغة هذه البيئة التي يدعوها إلى الله ، ليكلّمهم بلسانهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (1) .

ولهذا نرى معرفة اللغات الحية - أو لغة منها على الأقل - ضرورة للداعية في عصرنا اليوم ، وقد ثبت أنه ﷺ أذن لبعض أصحابه بأن يتعلموا بعض اللغات في عصرهم !! .
تلكم لمحات خاطفة لما ينبغي أن تقوم عليه ثقافة الواقع ، ولا يخفى أن هذه الثقافة لا تستمد من الكتب وحدها ، فهي ثقافة نامية متجدّدة مستمرة ، يمكن للداعية أن

(1) سورة إبراهيم الآية : 4 .

يجدها في الصحف ، والمجلات ، والنشرات ، وبطون كتب المطالعة ..
والداعية ذو العقل اليقظ ، والحس المرهف .. يستطيع أن يأخذ مددًا جديدًا من كل ما حوله من وقائع الحياة اليومية من أخبار الصحف ، ووكالات الأنباء ، وتعليقات المعلقين ، ويمكنه أن يعدّ لذلك سجلًا ، أو أرشيفًا يدوّن فيه ما يهّمه من هذه الوقائع والأخبار ، ويصنّفها ويضعها عند الحاجة في مكانها ، فإن أحداث اليوم هي تاريخ الغد الذي يدرسه الدارسون ، ويحلّله الناقدون ، ويعتبر به المعبرون !! .
على أن لهذه الأخبار والأحداث مزية على الأحداث والأخبار الماضية ، وهي جدّتها ، وحضورها في الأذهان ، والانفعال العاطفي .. ولهذا يكون لها أبلغ الوقع والتأثير !! ..
بل يستطيع الداعية أن يتلقى معلوماته عن الواقع من مصادره الحيّة المباشرة ، بلقاء الناس ومخالطتهم ، ومشاهدة أحوالهم ، والاستماع إلى أحاديثهم في الحضر والسفر ، فإن السفر نصف العلم ؛ ولهذا كان علماءنا الأوّلون أكثر الناس ترحالًا في طلب العلم من أهله في مواطنهم ، وقد قال الشاعر العربي :
يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدّثوك فما راء كما سمعا

تلكم - إختوتي الدعاة - أهم المعالم الأساسية في تبيان الوسائل لإعداد الداعية ثقافيًا ، وتكوينه علميًا ، وتهيئته حركيًا ودعويًا ..

فالثقافة الإسلامية يكون الداعية قد وقف على أرض صلبة من الثقافة التي محورها الشريعة ؛ ومصادرها الأساسية : القرآن والسنة والقياس والإجماع .. ، وعلومها الرئيسية : أصول العقيدة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، وأنظمة الإسلام .. إلى غير ذلك من هذه الثقافات التي يجب أن يدرسها دراسة وعي وهضم وتدوّن .. بعيدة عن تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

وبالثقافة التاريخية يكون الداعية قد ألمّ بتاريخ الإسلام والأمة الإسلامية بشكل خاص ، وتاريخ الإنسانية وما يرتبط بها من أحداث بشكل عام .. وبهذا يكون قد وسّع أفقه ، واستعان بالتاريخ على فهم الواقع الذي يعايشه ، وأصبح إنسانًا ناضجًا ذا وعي وحصافة ..
وبالثقافة اللغوية والأدبية يكون الداعية قد قوّم لسانه ، وأحسن تعبيره ، وجوّد

أسلوبه ، وسحر الناس ، ونُظِر إليه بعين التقدير والاحترام ..

وبالثقافة الإنسانية يكون الداعية قد أَلَمَّ بعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد ، وعلم الفلسفة ، وعلم التربية والأخلاق .. هذه العلوم تساعده على فهم الحقائق ، وتمكنه من معرفة الأفكار والفلسفات .. ؛ ليردّ على الفكر المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه ؛ ويواجه بها الماديين والملاحدة في دحض شبهاتهم ، ونقض ضلالاتهم ..

وبالثقافة العلمية يكون الداعية قد تمكّن من العلوم التي تقوم على الملاحظة والتجربة ، وتدخّل في نطاق الحسّ ، وتحليل المخبر كالفيزياء ، والكيمياء ، والتشريح والطب ، والفلك .. ؛ فيها يستطيع الداعية أن يستخدم الحقائق العلمية في تأييد الدين ، وتوضيح مفاهيمه ، ودفع شبهات خصومه ، ومفتريات أعدائه .. ويستطيع أيضًا أن يكشف بوضوح عن الإعجاز العلمي لآيات القرآن الكونية .

وبالثقافة الواقعية يكون الداعية قد تسلح بسلاح الثقافة الواقعية التي تستمد من واقع الحياة الحاضرة وتشمل :

واقع العالم الإسلامي ، وواقع القوى العالمية المعادية للإسلام ، وواقع الأديان المعاصرة ، وواقع المذاهب السياسية الحاضرة ، وواقع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي ، وواقع التيارات الفكرية المناهضة للشريعة ، وواقع الفرق المنشقة على الإسلام .. إلى غير ذلك من المعلومات والثقافات التي يدور بها الفلك في دنيا الناس الآن ، في داخل العالم الإسلامي وخارجه ..

فالداعية حين يتسلح بهذه الثقافات جميعًا تكون الاستجابة له أبلغ ، والتأثير بكلامه أعظم ، والتعلّق به أكبر ، واحترام الناس له أسمى وأفضل ..

وبدون هذه الثقافة الشاملة لا يمكن للداعية بحال أن يعطي غيره ، وينفع أمته ، ويصلح مجتمعه ، ويعالج آفات القلوب ، ولا يمكنه أيضًا أن يكون داعية موفقًا ناجحًا ، له في الأمة أثر ، وفي الناس محبة وإجلال ..

فاحرص - أخي الداعية - أن تتزود بهذه الثقافات النافعة لتكون في المجتمع منارة دعوة ، وفي الأمة بدرّ إصلاح ، وفي الإنسانية شمس هداية ..

ولاشك إنك إن أخلصت وثابرت وبلغت .. فالله سبحانه يحقق الخير على يديك ، وتبني - بعون الله - مجد الإسلام على ساعدك ، فتعزّز أمة الإسلام بعد

ذل ، وتغتني بعد فقر ، وتتوحد بعد فرقة ، وتتأخى بعد عداوة ، وتعود - بإذنه تعالى - خير أمة أخرجت للناس ، وما ذلك على الله بعزيز .

وقبل أن أختتم هذا الفصل أريد أن أنبه الدعاة على أن يقرؤوا كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » للعالم الداعية الشيخ سعيد حوى ، فإنه قد توسّع في ثقافة الداعية ، وأحاط بالبحث إحاطة شاملة ومستوعبة .. كما أنبهم على أن يدرسوا كتاب « ثقافة الداعية » للعالم الجليل الدكتور يوسف القرضاوي الذي جعلت كتابه عمدة هذا الفصل مع الاختصار والتصريف .. فجزاهما الله عن الإسلام أفضل الجزاء ، ورفعهما في الدارين مقاماً عليّاً ، وحقق الله عزّ الإسلام ومجد المسلمين على أيديهما وأيدي الدعاة الصادقين والعلماء المخلصين في العالم الإسلامي .. ، إنه خير مأمول ، وبالإجابة جدير ، وهو مولانا وناصرنا ، فنعم المولى ونعم النصير ..

* * *